الأولاد

ودائع الله عنـــدنا

معوض عوض إبراهيم

من كبار علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وعلى خاتمهم سيدنا محمد ابن عبد الله.. وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد ...

فهذه كلمات «إلى أشطار القلوب» وفلذات الأكباد، والجيل الصاعد، أملاها عرفان بأنهم أجل هبات الله للآباء.. وهم كذلك فى ميزان الفطرة، وفى اعتبار الأبرار منذ خلق الله آدم وحواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً.

وهم زينة الحاضر، والذخر الذى نجده ــ حين يتراخى بنا العمر ـ قرة أعين، وسكينة أنفس، وحمى للعقيدة، وأمنا للوطن، وقوى تدفع مسيرة الوجود إلى كمالها البشرى، حتى نجدهم فى موازين حسناتنا يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وخليق بالنشء العزيز أن نتحدث إليه، ونتحدث عنه، وأن نضع تحت نظره فى رفق وحكمة عطاء الوحى الإلهى والسنة النبوية المهيمنة على رسالات الله الأولى. وما أضاف الفكر البشرى فى هذا السياق من تصور بناء ونصح أمين، فى مصارحة قد يخالطها ما يشبه القسوة، ومعاذ الله أن نقسو على «أشطار القلوب» وودائع الله التى سيسألنا عنها لا ريب ونحن نسأله مع عباد الرحمن **﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾** [الفرقان: ٧٤].

معوض عوض إبراهيم

مراقب عام الوعظ فى الأزهر

وعضو لجنة الفتوى فى الأزهر سابقا

القاهرة: ١٢ مايو ٢٠٠٢م

٩ ربيع الأول ١٤٢٣ هـ.

الفصـــل الأول

أشـــطار القلوب

١ ـ التعريف بالشباب .

٢ ـ أشطار القلوب .

٣ ـ البراعم الغضـة .

٤ ـ اليتامى أمانة مسئولة .

٥ ـ مخاطر تستهدف الشباب .

٦ ـ انظروا أنفسكم فى مرآة النبى ﷺ .

٧ ـ ارعوا فيهم نبتة الطموح .

٨ ـ إنهم ودائع الله عنـــدنا .

٩ ـ من مدرسة النبوة للشباب .



التعريف بالشباب

شبابنا هم أبناؤنا وذرارينا، وثمرات حياتنا ورياحين دنيانا. إنهم أكبادنا التى تمشى على الأرض، وهم شريحة ذات بال، وقطاع هام فى كيان المجتمع المسلم، وهم الوقود والدم الجديد، والرصيد المدخَّرُ لحسن القيام غدا أو بعد غد على قضايا الدين والدنيا على سواء، والشباب بهذه المثابة خليقون منا جميعا على شتى المستويات بالنظر فى أمره، والتفكير الواعى فى يومه وغده والحرص البصير على أن يكبرَ ويدرجُ فى رحاب الإسلام، وأن نقدم إليهم من هدايات الدين العظيم قرآنا وسنة وحياة رجال وسلوك سلف، ما يكون مع ما يرونه منا ويعرفونه عنا من كريم الخصال وشريف الأعمال قدوة حسنة وأسوة طيبة.

والشباب كما قال ابن منظور فى موسوعته «لسان العرب» هو الفتاء والحداثة. ويقول: والشباب جمع شاب وكذلك الشبان، ويذكر رحمه الله فى المادة ما يؤكد أن الشباب قوة ويقول «والشباب والشُّبوب ما تُشَبُّ به وتوقد النارُ».

والحق أن الشباب فى الزمان هو ربيع العمر، وأزهى مراحل الحياة، والفرصة الأولى التى قد نلحظ فيها مخايل الفتى والفتاة وملامحهم النفسية ويكون المنطلق غالبا إلى الخير الذى نريده لهم والصلاح الذى نؤمله فيهم حين

ينموان ذكورا وإناثا فـى مغارس الإسلام كما ينمو النبات بما نتعاهـدهم به من الرى من مناهلـه والغذاء بخصوبته التى لايمُارِى فيهـا منصف، وعلى النقيض من ذلـك حين ينشأ هؤلاء فـى غيبة الديـن وغفلة الأهلين، وتقصير المـربين، ووسوسة غير المـؤهلين فى وسائل إعلام وهيئات تنتسب إلى المعـرفة وما هى منها فى شىء:

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

إن هؤلاء الشباب خليقون بأن نقدم إليهـم فى حنوٍّ وإشفاقٍ وإيثار وإصرار، خلاصة تجاربنا الإنسانية الهاديـة وحصيلة الممارسة الجادة للحياة بالإسلام، وما أفدنـاه من علوم ومعارف وهبنـاها ووهب لها غيـرنا أطيب فرص العمـر فى انفتاح على الجـديد الطارف المفيد الـذى لايختلف وهدايات الله فـى الدين الخاتـم الذى يـوجب أن نـأخذ الحكمـة أين وجـدناهـا ومن أى وعـاء ويرى المؤمـن أحق بها وأولـى باقتناصها مـن سواه لأن المؤمـن هو الإنسان الكـريم الذى يصنع الله به وبأمثاله المجتمع الرشيد فى أيه مرحلة من مراحل الوجود .

والشباب بحـاجة مـاسة إلى أن نضـع تحت أنظارهـم نماذج مـن الشباب الخير الـذين حملـوا من حـول النبى ﷺ أعبـاء أكرم رسـالة، وشبـاب آخريـن عرفتهم الحياة فى تاريخها الطويل مازالـت أعمالهم معالم على طريق الخير والصلاح .

إن ذلك بعض حق الشباب على الآباء والمـربين قبل أن ننكر على بعضهم

ما ينبغى أن ينكر من ظواهر الانحلال والابتذال التى خلُصت إليهم لاريب حين قصرنا فى توفير الجو النقى لهذه البراعم الغضة كى تنمو وتقوى وتتأصل مع فطرة الله التى فطر الناسَ عليها وفى المجتمع المعاصر فى شتى أقطارنا شباب مؤَملون بما يحرصون عليه من أمور دينهم وما يؤثر من جهد وجد ومثابرة لخيرهم ومستقبلهم وآمالهم وطموحهم كى يكونوا فيما يستقبلون من مراحل الحياة أملاً للدين والدنيا ولن يصعب عليك أن تجد هؤلاء فى مختلف أقطار الإسلام وديار المسلمين يُشيعون أملاً ويضاعفون فيهم رجاءً .

والله تعالى يقول ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [التحريم : ٦].

إن من الخير أن نسأل أنفسنا هل أدينا لهؤلاء الشباب واجب النصح والتوجيه والإرشاد؟ وهل ضربنا لهم بأنفسنا المثل فى السلوك الأمثل والتصرف السديد؟ وهل عرفنا أن الأصول عليها ينبت الشجر كما قال الأول؟ وصدق الله العظيم ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئٍ بما كسب رهين**﴾ [الطور: ٢١] .

إنها أمانات تُرعَى، وكل إنسان مسئول عما استأمنه الله تبارك وتعالى عليه، فقد ذكر الله تعالى بين المؤمنين المفلحين فى صدر سورة (المؤمنون) فقال ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾ [المؤمنون : ٨] .

■ **أشــطار القلوب :**

إن الشباب أشطارُ القلوب وزينة اليـوم، وأمل الغد المنشود، وهـم ودائع الله الغالية عندنا وأَنعُمُهُ المترادفة إلينا والله تعالى يجعل مسئوليتنا عنهم فى الحياة وفيمـا وراء الحياة مسئـولية كبـرى ومن أجـل ذلك أوجـب سبحانـه رعايتهـم و إعدادهم منذ اللحظة الأولى التى يفهمون فيهـا ما ينفع وما يضر، حتى يؤثروا ما يفيد و يجتنبـوا ما لا يفيد، فيكونوا قـرة أعيننا فى عاجل وآجـل، عدلا من الله الـذى لا يظلـم مثقـال ذرة ﴿**وإن تك حسنـة يضاعفهـا ويؤت مـن لدنـه أجرا عظيما**﴾ [النساء : ٤٠] . وفضلا منه تبارك وتعالى فإنـه هو الذى أنعم بالبنين، فكانوا بلا حول منـا ولا قوة، وهو الذى أعان على الوفاء لهم والقيـام بأمرهـم فى مرضاته تبارك وتعالى. ولقد قلت يوما :

فأولادنا سلوى الحياة و إنهم　　لفى غدنا الموعود من أنفع الذكرى

نورثهم أمجادنا ونُعِدهـــــم　　لنحيا بهم فى عمرهم مــرة أخـرى

ومـا أكثر مـا نفهـم من أمـر رسـول الله ﷺ: «مروا أولادكـم بـالصلاة لسبـع واضـربـوهم عليهـا لعشـر وفـرقوا بينهـم فـى المضـاجع». البخـارى ومسلـم وأصحاب السنن بألفاظ متقاربة .

وما أجدى مبادرةِ وصل شبابنا بالله، وأخذهم بموجبات مغفرته وحبه ورضاه ونفهم مثل ذلـك من إيجاب النبى ﷺ (أن نجعـل من صلاتنا فـى بيوتنا) رواه الشيخان وأحمد وأبو داود عـن أبى هريرة. فمن أبهر أسرار هذا التـوجيه أن يرانا

أولادنا ونحن نصلى فيتعلموا الخير بالقدوة العملية بعد الأمر بالخير، وهو ﷺ يقول: «ألا وخير أعمالكم الصلاة» إن أطفالنا يرون كيف نتوضأ، وكيف نقوم إلى الصلاة متجهين إلى جهة لاتختلف فى صلاة عن صلاة ويروننا ندخل إلى الصلاة من باب لا يتعدد وهو باب «الله أكبر» مؤدين أعمالا وأقوالا لا تتغير قراءة وركوعا وسجودا، وإن تغيرت أعداد الركعات، وكانت الصلاة جهرا فى بعضها كما قال الرسول ﷺ «صلوا كما رأيتمونى أصلى» رواه البخارى والدارمى عن مالك ابن الحويرث .

وهكذا يرون خشوعا تظهر آثاره، وتسطع أنواره فيما نقول ونفعل حتى نخرج من الصلاة بالسلام ويبقى معنا استشعارنا أننا نغدو ونروح ومعنا روح الصلاة وأثر صلتنا بالله أثرا لذلك الحضور الذى يصحبنا فى الصلاة يرى ذلك أبناؤنا ويعقلون ما يعقلون، ويسألون فى ذلك فنجيبهم بما يحبب إليهم الصلاة ويرغبهم فى إقامتها مقتنعين أنها حق الله على المكلفين وأنها معراج المؤمنين، وأنها ترتفع بهم عن جواذب الطين فى الإنسان إلى مستوى «أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت به شفتاه» رواه البخارى وابن ماجه وأحمد من حديث أبى هريرة.

وهو حديث قدسى صحيح، وإلى مستوى «ونفخت فيه من روحى» .

والله تعالى يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة**﴾ [البقرة: ١٥٣]، والإمام الغزالى رضى الله عنه، وهو رائد علماء النفس والتربية والسلوك والدعوة إلى الله تعالى يقول: قلب الطفل جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل

نقش وصورة وهو قابل لكل ما ينقش عليـه، ومائل لكل ما يمال به إليه فإن عُودِّ الخير وعُلمَـه نشأ عليه وسعـد فى الدنيا والآخـرة و إن عُود الشر وأُهمـل إهمال البهائم شقى وهلك .

ويقول الزبيدى شارح كتاب الإحياء رضـى الله عنه، إذا بلغ الطفل السادسة وجب أن يقـدم إلى المؤدب والمعلـم، ولكن بتدريـج ولا يُحملُ على مـلازمة المكتب مرة واحدة فهذا هو التدريج والتهييج فى تدريبهم.

والحافظ المنذرى رضـى الله عنه، يروى فى كتابه الترغيـب والترهيب بسنده أن موسى عليه السلام سأل ربه تبـارك وتعالى فقال: أى الأعمال أحب إليك؟ قال «إلطافُ الصبيان، فـإنهم فطرتى، و إذا ماتوا أدخلتهـم جنتى»، والمؤمنون بخير ما تخلقـوا بأخلاق الله تعالـى فنشروا ألوية الحنـان والإحسان فوق رءوس ذويهم ومـن يليهم مؤديـن بذلـك حق الإنسانيـة التى وثق الله بنـا عراهـا. قال تعالى: ﴿**يا أيها النـاس اتقوا ربكم الذى خلقكـم من نفس واحدة وخلـق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً**﴾ [النساء: ١] وجلت أنعمك يارب فأنت الذى بثثـت من آدم وحواء رجـالا كثيرا ونسـاءً، والنعم لاتُصان إلا بشكـر وليس شكر النعم كلاما، ولكن قيام عليها بأمر الله وهو سبحانه يجزى الشاكرين .

■ درس من الحيوان :

إن الحيوان الأعجم يرعى صغاره ويدربهم على ما لابد لهم منه، من حركة وقدرة وتدريب على الاستقلال بأمرهم بدافع الإلهام، و إن فطرة الله فينا لتوجب

أن نرصد لرعاية الشباب أضعاف ما رصد آباؤنا لنا حين كنا قليلى العلم والتمرس بأمور أنفسنا وليت الذين فاتهم ذلك الواجب فلم يتعلموه من الأصوات المنطلقة من داخل ذواتهم، فضلا عن هدايات القرآن والسنة، أن يتعلموا ما يجب للجيل الصاعد من الحيوان الأعجم، ومن الحكم البالغة (تعلم من كل شىء أحسن ما فيه) حتى من الكلب وفاءه لسيده، ومن الصقر بكوره فى طلب حوائجه، وفى برامج عالم الحيوان فى الشاشة الصغيرة وفى بعض كتب الأطفال النافعة شِبَع ورِیٌّ وإحسان .

ورعايتنا للجيل الذى نورثه أمانات الله فى أعناقنا أعود بالخير عليهم من المال الذى يُخلِّفه الأصول للفروع فيبددونه بحماقتهم فى يوم أو بعض يوم ثم يمضون مبعث إعراض وامتعاض ومثار سخط ونقمة على أصول أهملت الفروع فشبت عوجاء وزادت على الأيام انحرافا والتواءً، ومن شب على شىء شاب عليه .

■ البيت المدرسة الأولى :

إن الدور والمنازل هى المغارس الأولى للنبت العزيز والمدارس التى يتلقون فيها دروسهم التى يقوم عليها مختلف الدروس بعد، وأساتذة هذه المدارس من الآباء ينبغى أن تظل أبصارهم وأسماعهم وعقولهم تتابع خَطْوَ النشء كلما غدوا أو راحوا فى حكمة وبصر ورفق وإبقاء، حتى لاتتداخل خطواتهم ولا تضطرب بين أيديهم السبل .

ولقد جاء طفلا مغضبا يشكو لأمه سوء أخلاق ولدا رآه خيالا فى بئرا من الآبار، يحمل فى يده حجراً يريد أن يرمى به الطفل، فقالت له أمه هل نظرت إليه وأنت تبتسم فقال: لقد قطبت وجهى حين رأيته فى الماء مقطب الوجه فحملت حجراً لأقذفه به ففعل مثل ما فعلت فقالت له أمه: أذهب البئر مرة أخرى وأبتسم ثم أحمل طاقة من الزهر وأشربها إلى الطفل فى البئر وتعالى فأقصص علىَّ ما رأيت، وذهب الطفل إلى البئر مبتسماً، فإذا به يرى الطفل فى البئر مبتسما، فأرتاح لما رأى، وقدم طاقة الزهر للطفل، فإذا به يقدم له كذلك طاقة زهر فأرتاحت نفسه وأنشرح صدره، وعاد يخبر خبره لأمه فقالت له هكذا: يُعاملنا الناس بمثل ما نعاملهم به، فعاشر زملائك بإحسان تلقى منهم الحب والإحسان .

وما زلت أتمثل علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يمر على فتية يجلسون وبينهم أحد ولديه الحسن أو الحسين فناداه وقال له (يا بنى نزه سمعك عن كلام هذا)، وكأنه سمع منه ما لا يحسُنُ من القول ثم أردف يقول (فإنه نظر إلى أخبث ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك) .

وإنه لدرس فى الإشراف على الشباب ينبغى أن يؤثر دون أن ندع فرصة يفهم منها الشباب أننا نتجسس عليهم أو نتمنى لهم المعايب، ونود أن تشيع فى الناس عنهم الأخطاء معتدين باغين .

إن هؤلاء الشباب منا ونحن لهم أصول وهم الفروع التى نود أن تكون غدا ظليلة وافرة الثمر، فنجدد بهم ذكريات هى التى عناها خليل الرحمن إبراهيم

عليـه السـلام وهـو يقول مـا حكـى الله عنـه: ﴿**واجعـل لى لسـان صدق فـى الآخرين**﴾ [الشعراء: ٨٣].

والعقلاء يشفقون كثيـرا على الشباب الذى لـم يعطهم الآباء ما هـو أحق به وأهله مـن عنايـة ورعايـة وتذكيـر وتبصير بـالله ورسله ورسـالاته وتحـذير ممـا يضطرب فى الحيـاة من مبادىء وما يتصـارع فيها من مذاهـب ومعتقدات وما يزخرفه الأعـداء داخل حدودنا من أباطيـل وما يزيفونه من أراجيـف ليست من ديننا فى شىء وما يفد عليهم من وراء الحدود من آراء وأفكار إن كان فيها شىء من الخير فـإن فيها أشياءً كثيرة من الشـر. وصدق الله العظيم: ﴿**وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم**﴾ [الأنعام: ١٢١] .

ورحم الله عبد الله بن عمر فقد قال (إن شيطـان الإنس أشد علىَّ من شيطان الجن فـإنى إن استعذت بـالله من شيطان الجن أعـاذنى منه، وشيطـان الإنس يجيئنى فيجرنى إلى المعاصى جرا) .

فاللهـم كن عونا لنـا وصونا للناشئـة العزيزة مـن همزات الشياطين فـإنه لا يعجزك شىء فى الأرض ولا فى السماء .

■ الشباب ـ البراعم الغضــة :

إن شبابنا هم البراعم الغضة الذين تـرمقهم عقيدتهم وتؤمل أمة التوحيد أن تتفيأ غدا ظلهم الممـدود وتَسْتَرَوِحُ نسماتهم الرطاب، وتقطـف ثمرهم الجنى وتصنع بسواعدهـم القوية الأعاجيب فى ميادين السلـم والحرب وفى الظروف

التى تتعاقب على الناس بما يحبون وما يكـرهون فيكونون فى أيام السعة زيادة فى كونها وسياجـا لأمنها وقوة دافعة إلى مزيد مما بلغت ويكـونون فى ساعات الشدة أمـلا فى دفعهـا وعملا مـوصولا لقمعها حتـى يبلغوا بـأمتهم وتبلـغ بهم الحياة ما أراد الله تعالى بقوله ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ [آل عمران: ١١٠] والأمة شباب وشيب وآباء وأبناء يعملون جميعا ويد الله مع الجماعة «ومن شذ شذ فى النار» .

إن شبابنـا يعيش فى مـرحلة صعبة ونحن بعـون الله قادرون على أن نـؤمنهم خطرهـا ونقيهم شـرها حيـن نعود إلـى البيت والمـدرسة والجـامعة والمصنـع والديـوان وجوانـب المجتمع فنعيـد هيمنة الإسـلام فيها ولا نجعلهـا تتضارب وتتناقـض ويدفـع بعضها فـى صدر بعـض فإذا أحسنـا فأقمنـا على الكمـال والشـرف والطهر بيـوتنا ودرج الشبـاب فى هـذه البيـوت إلى مـا وراءها، إلـى المدرسة وتنـاولوا الكتاب الصالـح والمنهج المدروس وجب أن تكـون الدولة حاضـرة ولا أعنى دولـة بعينها ولكنـى أعنى ولاة الأمـور الذيـن أوجب الله لهـم الطاعة والإذعان والاتباع بقدر ارتباطهم بالإسلام واعتصامهم بحبله أخذا وتركا وأمرا ونهيا ونحن نقـرأ قول الله تعالى: ﴿**يا أيهـا الذين آمنوا أطيعـوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**﴾ [النساء: ٥٩] .

أجـل حين يخـرج الشبـاب إلى المـدرسـة يجب أن يكـون ولـى الأمر قـد اصطفـى لهم آبـاء الأرواح المـدرسين الثقـات والأمنـاء فـى علمهم وعملهـم ويقينهم أن التلاميذ يأخذون بالثقة كل مـا يقوله معلموهم ويعملون وعلى قدر

صلاح المدرس فى نفسه وترفعه عما يريب يكون تلاميذه أشبه شيء به ورحم الله أحمد شوقى فهو يقول :

قم للمعلـــــم وفه التبجيــلا كاد المعلم أن يكون رســـولا

أعلمت أشرفَ أو أجلَّ من الــذى يبنى وينشيء أنفســـا وعقولا

إن التربيـة أجدى من المعارف التـى قد تملأ الرءوس دون أن تبلـغ النفوس فتـزكيها وتتـرك فيهـا أطيب الآثـار ولقـد امتـن الله تعالـى علينـا وعلى النـاس بمصطفاه صلوات الله عليه فقال: ﴿**هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين**﴾ [الجمعة: ٢] .

وإنعام النظـر فى قولـه تعالى: (ويـزكيهم) بين صفتـى (يتلو عليهم آيـاته) وقوله تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يبرز حقا لمن يبلغهم آيات الله تبارك وتعـالـى فـى الأنفـس والآفـاق من دلالات آيـاتـه المتلـوة البينـة وأن نحـاول مستعينيـن بـالله أن نصقِل الأرواح وأن نُثيـر حـب الله وخشيتـه ومراقبتـه تبـارك وتعالى بكل حال فى آبـاء وأبناء تزكو أقدارهم بمقدار ما فى نفـوسهم من إيمان وطيب إحســاس ورقة وجدان وخـذوا هذه الوصيـة الكريمـة من هرون الـرشيد رحمه الله لمعلم ولده الأميـن فإنها دالة فى هذا السياق قـال: «يا أحمر إن أمير المؤمنيـن قد دفع إليـك بمهجة نفسه، وثمـرة قلبه، وصيـر يدك عليه مبسـوطة، وطاعته لـك واجبة، فكن له حيث وضعـك أمير المؤمنين، أقرئه القـرآن، وعرفه الأخبـار، ورَوِّه الأشعار، وعلمـه السنـن، وبصره بمـواقـع الكـلام، وامنعه مـن

الضحك، إلا فى الضرورات المتباعدة، وخذه بتعظيم بنى هاشم إذا دخلوا عليه، وارفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تُمعن فى مسامحته ليستحلى الفراغ، ويألفه وخذه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالغلظة والشدة من غير أن تعزله» ا هـ. إن الملاينة والقرب ودواعى التألف فى صنع الشباب وإعداد الجيل المرجو أجدى علينا وعليهم وعلى الحياة كلها من العنف والقسوة والاتهام والتبرم بهم والصياح عليهم بمناسبة وغير مناسبة، ولا بأس بهذا الصياح حين نستنفد الأناة والحلم ومحاولة إنهاضهم من كبواتهم والأخذ بأيديهم من زلات خروا فيها إلى الأذقان ورحم الله من قال:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم

إن الطبيب وهو يعمل مبضعه فى بعض الأجسام ويكسر فى أوقات شيئا من العظام ويصف لنا من الدواء ما نتجرعه علقما وصابا لا يريد بذلك أذى أو مضرة لكنه يبتغى الخير وإن اصطنع بعض ذلك الشر ورحم الله من قال:

أما والذى لا خُلْدَ إلا لوجهه ولم يك فى العز المنيع له كُفْوُ

لئن كان طعم الصبر مرا فعفته لقد يجتنى من غبه الثمر الحلو

وكما تعاهد الولاة النجباء من الأبناء وتركوا للدنيا بذلك أصدق الأنباء عظة وذكرى.

فلقد رأى الخليفة المأمون فى بيت الديوان غلاما على أذنه قلم فكذلك كان يفعل الكتبة من قديم ولعلهم مازالوا يفعلون فسأله المأمون من أنت؟

فقال الغلام: «أنا الناشىء فى دولتك، المتقلب فى نعمتك، المؤمل لخدمتك، أنا الحسن بن رجاء» فسُرَّ الخليفة من رده وقال له: «أنت ولدى مادمت والعلم شأنك والمحبرة حليفتك والدفتر رفيقك فـإن قصرت ولا أخالك فغيرى خالك والسلام» .

والحق أن نجابة الأولاد وسداد الشباب وتفوقهم فى مدارج الكمال هو أجل النعم التى نوه بها من قال:

نعم الإلـه على العباد كثيـــرة وأجلهن نجابة الأبنـــــــــــاء

وما أجـل هذه النجابـة حين تكون فى رحـاب الإيمان وذلك سهـل ميسور حين نستعيـن بالله تبارك وتعـالى عليه، ونوفـر وسائله وأسبـابه لأبنائنـا نعم الله الكبرى عندنا ورضـى الله عن أبى حفص عمر فلقد بشروه بـولادة أنثى له، فقال وردة أشمها ورزقها على الله .

و إن لعلى بن أبـى طالب رضى الله عنـه كلمات فى إعداد الأولاد أراهـا نبع تربيته فى مدرسة النبوة فهو يقول (لاعـب ولدك سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا ثم اترك حبله على غاربه).

إن الذين يبـادرون الشباب برعايتهـم واهتمامهم فى بكـرة إدراكهم لحقائق الأشياء يسدون كل ثغرة يمكن أن ينفذ منها شيـاطين الإنس والجن إلى الجيل الجديـد و يجدون الشباب فـى أمن وعافيـة وصلاح تطيـب به الأنفس وتـرتاح الأرواح أثرا ليقظة وبذل **﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾** [الكهف: ٤٩] .

ولا ريب أن ملاعبة الأطفال تزيد فى إلفهم لنا و إقبالهم علينا وتأثرهم بنا واستماعهم إلينا وهو مناخ صالح تنمو فيه غراس الفضائل والآداب التى نود أن تتأصل فيهم وعلى عكس ذلك يكون التجهم والانقباض والجفوة التى تعمل عملها فى نفرة الأولاد منا وحرصهم على البعد عنا والضيق بما نتقدم به إليهم من أقوال وتوجيهات والاستعداد لسماع من يوغر صدور الناشئة على الآباء وعلى الأصول فهم يقولون إن ذلك جيل وذلك جيل وما ينبغى أن يأخذ الجديد من القديم، وهو كلام لايقول الشيطان أفحش منه ولا أشنع .

وتأديب الناشئة بعد ملاعبتها سبعا كما كان يلاعب الرسول ولديه الحسن والحسين ويحمل أمامة بنت زينب ابنته فى صلاة الفريضة وكان كما ورد فى صحيح البخارى إذا قام رفعها فإذا ركع أو سجد وضعها هو تأديب محقق الفائدة ومصاحبة الناشئة بعد ذلك تتيح لهم فرصة الاطلاع عن كثب على ما يحسن من أعمال وما تنفرج عنه شفاهنا وتنطلق به ألسنتنا من أقوال وتجعل فرص تعلمهم مما يرون ويسمعون منا كثيرة ومجدية فإذا تركناه بعد ذلك يستقل بأمره ويتصرف كما يوحى إليه قلبه، كان بذلك موضع الرضا ومبعث الارتياح وأهلا لإعزاز الله و إعزاز عباده .

■ اليتامى أمانة مسئولة :

والله تعالى يوجب على الأوصياء أن يتعاهدوا اليتامى فإذا أونس منهم الرشد دفعوا إليهم أموالهم قال تعالى: **﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يَكبروا﴾**

[النساء: ٦] .

فكم منا من أخذ الناشئة العزيزة بذلك المنهج، وتدرج بها في تلكم المدارج إن قلة قليلة من الناس يضطلعون بهذه المهام للشباب والأكثرون يعضون أصابع الندم لأنهم ضيعوا فرصا مضت أوقاتها وانتهت مراحلها وبقيت الغصص، والمفرط كما يقولون أولى بالخسارة .

ومن هنا كان مأتى شَكاة الشاكين من الطفولة المشردة والشباب المنطلق فى الحياة على هواه وعلى غير هدى من الله ورسوله، والشاكون ــ إلى حد ما ـ ملومون !!

■ **مخاطر تستهدف الشباب :**

إن شبابنا يواجهون مخاطر تستهدف مع ذواتهم عقيدتهم ويتخذ الأعداء الشباب غاية وهدفا لعدة أسباب .

أولا: إنهم لقلة تجربتهم يكونون أهون فى الاستهواء، وأسرع إلى التقليد والمحاكاة فيما يرونه، أو يبلغ أسماعهم من قريب وبعيد .

ثانيا : إنهم رجال الغد فالمبادرة إلى تطويعهم وامتلاك أزمتهم بكل وسيلة أجدى على المفسدين وأشفى لأحقادهم .

ثالثا : إنهم فى مراحل المراهقة ونزق الشباب وخفة الوازع الدينى إلا من عصم الله أسلس انقيادا .

وتأثرهم بما يحيط بهم من مغريات وفتن وصراخ موصول بالأفكار الفاسدة

يمكن أن يساوموا بالمال و إشباع الغرائز الدنيا كما حاول ذلك و يحاولونه فى بعض البلاد أعداء ألداء .

ونحن نحسن كثيرا عندما نعلم أن التدبير مستمر والكيد مستمر لشبابنا والله غالب على أمره ولا يصلح سبحانه عمل المفسدين .

إن عقيدة الشباب التى يحرص هؤلاء على التعفية عليها و يتوسلون بكل ما يمكن إلى البلبلة والتشكيك فيها بإشلاء كلابهم، و إغراء كتابهم لتزوير الحقائق ونسج الأكاذيب حول القرآن ولغته بخاصة وأدب هذه اللغة وعلمائها الذين تعاقبت العصور على إمامتهم والثقة فيهم هذه العقيدة فى شبابنا على الأقل هى الحصن الذى إذا انهار أو فتح أبوابه لكل تيار عاش الشباب بعد ذلك عاريا من فضائله وكمالاته مع هؤلاء الذين ضرب الله فيهم الأمثال فقال ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

ولقد كان بنو عبد الدار فى عهد رسول الله ﷺ يقول قائلهم نحن صم بكم عما جاء به محمد لانسمعه ولا نتسجيب إليه فنزل قول الله تعالى: ﴿**إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون * ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون**﴾ [الأنفال ٢٢، ٢٣] وما الدين إلا رحمة من الله تتدارك من يخشونه إذا زلت بهم فى الشهوات قدم، أو زاغ منهم أمام الفتن قلب وما كان الدين إلا شكائم من أهواء يخبو بها العقل، كما يخبو

الشعاع ويهون العرض كـأنه سقط المتاع، ويمضى بها فى لجـج الحياة وكأنه الفلك التى لايعصمها فى العاصفة مجداف ولا شراع :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به ســــكران [١]

إن الشباب غرضٌ لِكَرَّاتٍ آثمة تأخذهم من شتى جهاتهم وهى تلبس ثياب الحنو والإشفاق عليهم وابتغاء خيرهم ووصلهم بأمثالهم من أبناء عصرهم وهى ليست من ذلك فـى شىء، وإنها لأشبه الأشياء بثوب الـزور الذى لا يلبث عند النظر الفاحص غيـر قليل حتى يشف عما تحته من سـراب ومعانٍ ومثل كِذابٍ وضيق بالإسلام واختلاق على وشائجه الحانية التى يترابط بها المسلمون شبابا وشيبا وذكـورا وإناثا، وأفـرادا وجماعات غيـر راضين بهـا بدلا، ولا باغيـن عنها حِوَلا ولا مخدوعين بمـا يوسوس به الأعداء ويهمسون ويـدلسون إلا فى حالات الضعف البشـرى الذى يلم بـالناس شبابا ورجـالا وكهولا ،ولا يسلم منـه إلا من عصم ربـك، والنبى ﷺ يقول: (كـل بنى آدم خطاء وخيـر الخطائين التـوابون) رواه الترمذى وابـن ماجه وأحمد والدارمى مـن حديث أنس ابن مالـك أخرجه أحمد وغيـره من رواية أبـى هريرة رضى الله عنـه وهو عند التـرمذى وابن مـاجه وغيرهما.

فهل نعـود إلى النـاشئة العـزيزة بدستـور على رضـى الله عنه قبـل أن يفوت الأوان ويتعذر الإمكان ولله عاقبة الأمور؟.

---

(١) من كتابى «الإسلام والأسرة» بيروت ١٩٦٠ .

■ **انظروا أنفسكم في مرآة النبي ﷺ :**

كان رسول الله ﷺ حيال أمة الدعوة والذين آمنوا بالله واهتدوا بهداه يفيض رحمة وانتهازا لأول فرصة يمكن أن يتقبل فيها الفرد أو الجماعة كلماته وتوجيهاته صلوات الله وسلامه عليه بما هى أهله من إيثار واعتبار وها هو ﷺ فى أول لقاء جامع فى فجر الدعوة بعد أن نادى الناس جميعا قبيلة قبيلة وبطنا بطنا وسمى من قومه من له فى قومه إمرة وشأن، فلما بلغهم صوته وحمله الله إليهم قالوا: هذا هو محمد هذا هو الأمين يدعو فخفوا إليه وسارعوا بالقدوم عليه، فقال لهم ما بكل طبعه الله عليه من حدب ووداده وحب «أرأيتم لو أخبرتكم أن وراء هذا الجبل خيلا تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟ قالوا: نعم يا محمد وما يكذبك منا رجل واحد فقال صلوات الله عليه إن الرائد لايكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم جميعا، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا و إنها لجنة أبدا أو لنار أبدا» .

لقد عرفوا النبى ﷺ منذ شرخ شبابه وبكرة صباه مبعث ثقة وأهل إعزاز وإكبار وهو بذلك مؤهل للتأثر به والتصديق لما يقول صلوات الله عليه ولقد نهض بتكاليف الرسالة، وأداء أمر الله إلى عباد الله وهو كما وصفه مولاه وامتن به **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾** [التوبة: ١٢٨] وإنى لأتمثله صلوات الله وسلامه عليه وهو يمر بآل ياسر وهم يفتنون فى دينهم ويعرضون على ألوان من العذاب وضروب من الأذى، إلى المدى الذى قتل فيه الآباء أمام الأبناء وضربت سمية أول شهيدة

فى الإسلام فى نحرها بحربة مسمومة بلغت أسفل بطنها وهو صلوات الله وسلامه عليه لايملك لهم دفعا ولكنه قال «صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة» وكانت الكلمات بردا وسلاما على الأسرة التى رضيت بقدر الله فيها ولم يبق منها إلا عمار رضوان الله عليهم ورأى صلوات الله عليه شبابا يتدربون على ضروب من أعمال الحرب لا على لون واحد من تلك الألوان التى أخذت بأزِّمة القلوب فى كثير من البلاد وكأنها وحدها الرياضة التى اعتبرها الإسلام أو ارتضتها المدنيات عبر العصور، ولقد أظهر الرسول كل رضاه عما توافر عليه الشباب الخيِّر يومئذ من رياضة حقة، تبنى الأجسام، وتوشج الصلات، وتذكى روح التنافس الشريف وخلع نعليه ومشى فى أرض التدريب وهو يقول «روضة من رياض الجنة روضة من رياض الجنة» ويقبل بعض الشباب فى غزوة بدر ويرد بعضهم رحمة بهم ورغبة فى أن يقووا ويقدروا على تكاليف القتال فيما تستقبل الدعوة من ظروف فلما جاءت غزوة أحد جاء هؤلاء الشباب وبعضهم يمشى على أطراف أصابع قدميه حتى يبدو طويلا أمام رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فيقبلهم بين المجاهدين. يقول أحدهم: يارسول الله قبلت فلانا ورددتنى ولو صارعنى لصرعته ويسُرُّ النبى الأصرارُ على ما هو شأن الكبار ويشهد مصارعة بين شابين ويعلن النبى ﷺ النتيجة فيكون الخروج للفائز المنتصر مع من أجاز خروجهم من قبل من الشباب صلوات الله وسلامه عليه. وكان الشابان سمُرة بن جندب ورافع بن خديج الذى قبله الرسول بعد أن رده أول الأمر يوم بدر.

إن الشباب يُعوزهُـم أن يجدوا من يهتم بأمـرهم وينمى فيهم مـلامح الخير ويكشف الطريق أمام مطامحهم التـى تغلف الصلاح والإصلاح وهم واجدون والحمد لله مـن العناية اليـوم فى ديار كثيـرة ما يثير كثيـرا من الأمل، وليـس من القدوة بُد إن أردنا الخير للفرد والجماعة وكـم تكون القدوة العملية أبلغ من كل تعبير وأوقع فى النفوس من الماء البـارد النمير على الكبد المحرور وأن النفع بها ليعظم ويتضاعـف حين يكون سلوكا يـراه اليوم الشباب الذين يـديرون الطرف ويقلبون البصر فى كل اتجاه طلبا للفرد الصالـح والجماعة الراشدة التى تأخذ بأيديهم إلى جـادة الصواب والطريق المستقيم، وكم عرفنا وعـرف غيرنا رجالا ربا الإيمان بالله بين حناياهم وكـانوا بعلمهم وعملهم ورفقهم فيما يتكلمون به ويخـاطبون بـه الأفـراد والجماعـات أسـرع من شعـاع الشمـس إلى القلـوب واستأثرت رحمـة الله بهذه النماذج الفذة فى حيـاتنا المعاصرة وبقيـت آثارهم الطيبة وستبقـى علامات كبرى علـى طريق الذيـن يريدون أن يقدمـوا للشباب المناهج التى يكونـون بها زينة الحياة ويكونون بها فى مـوازين حسنات الرعاة الأمناء يوم يقـوم الناس لرب العالمين، إن حـال واحد فى ألف واحـد أنفع من مقال ألف واحـد فى واحد كما قـالوا، ويوم طلب أحـدهم من الإمام الغـزالى رضى الله عنه أن يؤثره بإحدى عظاته كتب الإمام الغزالى إلى ذلك الرجل سلام الله عليك. أمـا بعد: فإن الـوعظ زكاة نصـابها الاتعـاظ وفاقد الشـىء لا يعطيه وتمثل بقول القائل:

ويا حجر السـن حتى متى　　تسـن الحديد ولا تقطـع ؟!

إن الشباب فى حاجة ماسة إلى هذه القدوة فهى المرآة التى نرى فيها شبابنا

على خير ما نحب لهم من رشاد وتقوى وكم يظلم الشباب من ينظر إليهم بعين المقت ولا يؤمل فيهم خيرا ولا يرجو لهم صلاحا، وكم أنصف شوقى رحمه الله وهو يرى فيهم من بر ويرى فيهم من أعرض وتولى فقال:

شباب قنع لا خير فيـــــه ... وبورك فى الشباب الطامحينا

وأبو العتاهية فى القديم كان يقول:

يا لَلشبابِ المرح التصابى ... روائح الجنـــــة فى الشباب

والقرآن الكريم يذكر قصة أهل الكهف فيقول تعالى: ﴿**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾ [الكهف: ٣] وهل آمن بموسى إلا ذرية من قومه ؟!

فلنعرف ماذا علينا للشباب من حقوق. ونسأل الله تعالى أن يعيننا على أداء هذه الحقوق إليهم كاملة غير منقوصة .

■ النبى ونجابة الشـــباب :

كان رسول الله ﷺ تسره نجابة الشباب وتوفرهم على صالح الأعمال وكان ينوه بذلك منهم ويُبَرِّكُ به عليهم ويدعو لهم، وكان ممن دعا لهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما. دعا الله أن يعلمه الكتاب وهو فى السنة النبوية القرآن قولا واحدا. قال الإمام ابن حجر فى فتح البارى: (وقد وجدتها) أى دعوة رسول الله ﷺ لابن عباس «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب» رواه البخارى والترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس (ض) وعن ابن سعد من وجه آخر عن طاووس عن ابن عباس قال: دعانى رسول الله ﷺ فمسح على ناصيتى وقال «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب» والحكمة هى فى الأشهر الفهم

فى القرآن ومن أوتى فهم القرآن وسداد النظر فيه، فقد أمكنه الله من فهم ما سواه على نحو يستبين به الحق دائما ويعمل بـه ويحيا له، ومما اتفق عليه البخارى ومسلم رضى الله عنهما أن ابن عباس قـال إن النبى ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وَضوءه فقال «مـن وضع هذا» فلما علم أنه بن عباس قـال: «اللهم فقهه فى الدين»، ورسول الله صلـوات الله وسلامه عليه يعلم من أمر عبـد الله بن عمر بن الخطاب أكثر مما حَدَّثَ رضى الله عنه به عـن نفسه، قال: كان الرجل فى حياة النبى ﷺ إذا رأى رؤيا قصهـا على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيـا فأقصها على رسول الله ﷺ وكنت غلاما شابا، وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت فى النوم كأن مَلكين أخذانى فـذهبا بى إلى النار فإذا هى مطوية كطى البئر، و إذا لها قرنان أى جانبان و إذا فيهـا أناس قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ الله من النار. قـال فلقينا ملك آخر فقال لى لم تُـرع أى لا خوف عليك بعد هذا، فلما قصصتها علـى حفصة وقصتها هى كذلك علـى رسول الله ﷺ قال: «نعم الـرجل عبـد الله لو كـان يصلى من الليـل فكان بعـد لاينام مـن الليل إلا قليلا». متفق عليه.

إن ابن عمـر كان يـود أن يتاح لـه ما أتيح للـرجال مـن رؤى يقصونهـا على رسول الله ﷺ ثقـة منهم بأن قولـه فى رؤاهم وفى أمـور دينهم من الوحـى الذى لاعمل للـرسول صلوات الله عليه فيـه إلا التبليغ على خير وجـوه الأداء والتبليغ ههنا بعد يعقبه مبادرة الصادق المصـدوق صلوات الله عليه وهو يكشف لابن عمر من الأمر ما يكون به أهلا لرضا غامر من الناس ورضا غامر من الله عز وجل وهو قيام الليل للتهجد وقيام الليل متروك للمكلفين بحسب ما يوفق الله و يعين،

وكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا أيسره والحديث فى النظرة العامة نموذج رفيع فى أدب القصة القصيرة المعبرة فمن أراد الأدب فهاكم، ولقد دعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه لأنس بن مالك خويدم رسول الله ﷺ كما قالت أم سليم وهى تقدم ابنها إلى رسول الله ﷺ رغبة فى أن يخدم النبى وأنس نفسه يقول فيما روى الشيخان عن أم سليم قالت يارسول الله أنس خادمك ادع الله له. قال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته. وأنس هو الذى قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لى أف قط ولا قال لشىء فُعلته لم فَعلته؟ ولا شىء تركته لم تركته؟ ولقد أسر إليه النبى كلاما ومضى به أنس حيث أمره النبى وعلمت أم سليم أنه قصد جهة أمره النبى بها فسألته عن وجهه وعما أسر به إليه النبى ﷺ فلم يخبرها ولا أخبر أحدا غيرها وقال لأمه ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ وهو الذى روى أن رسول الله ﷺ أرسله فى بعض شأنه فأبطأ فى الرجوع إلى رسول الله فلما خرج النبى ﷺ ورأى أنسا مع أقرانه فى أحد الطرق قال له: «يا أُنيس إذهب حيث أمرتك» أخرجه أبو داود عن أنس بن مالك إن الكلام النبوى و إن كان حجة لمن يتحدثون عن إنسانية الرسول وعن رفقه ورحمته بالصغار فهو فى الوقت نفسه أسلوب فى التربية الحكيمة الكريمة يجب أن يُلحظ ويُؤثر ونحن نخالط الشباب ونخاطبهم ونخطط لهم وهو فى نفس الوقت دليل على يقظة النبى ومبادرته كل تصرف يجىء من هذا أو ذاك. وهذا قيس بن بشر التغلبى يذكره علماء الحديث بالضعف ولكن الإمام مسلما وحسبك به يروى له فى حديث طويل أورده الإمام النووى فى رياض الصالحين قال: قال رسول الله ﷺ «نعم العبد خريم الأسدى لولا جمتة

وإسبال الإزار» والجمة بضم الجيم وتشديد الميم هى الشعر إذا طال حتى بلغ المنكبين وسقط عليهما، وإسبال الإزار طول الثوب خُيلاء، فلما بلغ خريما قول النبى ﷺ عجل فأخذ شفرة أى سكينا فقطع بها جمته إلى أذنيه ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه تلك قطرات من بحر عناية النبى ﷺ واهتمامه بالفرد المسلم فى مجتمع الشباب الأول. فلننظر ماذا رصدنا نحن للشباب من جهد لينطلقوا إلى الصواب راشدين؟!

■ **ارعو فيهم نبتة الطموح :**

إن الشباب مرحلة حاسمة فى حياة الحى، وهو نقطة انطلاق إلى ما وراءها من فرص الحياة ومراحلها التى تكون غالبا كما يكون الشباب سواء بسواء، وقل أن يكون الشباب بادى النشاط يلمح فى مخايلة الطموح ثم لا يكون فيما يستقبل من أيام عمره أو فى نشاطا وأكثر طموحا وأدعى إلى الرضا عن تصرفاته فى المجتمع السوى الذى يعرف المعروف وينكر المنكر والذين يرضون بالحياة كيفما اتفقت كى لا يجشموا أنفسهم شيئا من المكابدة والمعاناة لا يصيبون من الحياة شيئا يذكر بعد أن أخلص الله لنا ما فى الأرض جميعا وامتن علينا بمثل قوله تعالى:

﴿الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل النهار * وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ [إبراهيم:

. [٣٢ـ ٣٤] .

فماذا وراء ما أعطى الله عباده وسخر للناس وكـم من مرة ذكر الله تعالى ههنا كلمة لكم؟ دلالة علـى أنها خاصة بنا وأننا أصلاء فى الانتفـاع بها إلى المدى الذى لا يسـاوينا غيرنا فـى استثمارها والإفـادة منها إن تمرس الشباب بـالحياة ومسئوليتهم عنهـا غدا، توجب أن يكونوا منـذ أول فرصة باذلين كـل وسع، غير باخلين بإمكـان فى تحصيل العلم وتعلم الحرف والصناعـات وإتقان ما وكل إليهم ونيط بهم من واجبات فى مختلف وجوه النشاط البشرى، فالذين يؤثرون السلامـة والدعـة يظلون عالـة على غيـرهم لا يستقلون بـأنفسهم بحـال وإنها لمهانة ألا يجـدَّ القادر ويجتهد ليحصل بعـرق جبينه موعود الله الـذى لا يضيع أجر من أحسن عملا واستهدف بالـوسائل الربانية أملا: ﴿**ومن أوفى بعهده من الله**﴾ [التوبة: ١١١] .

وما كان أسدَ وأرشدَ من (هند بنت عتبـة) وقد دخل عليها رجل، وبين يديها صغيرهـا معاويـة بن أبـى سفيان رضى الله عنهمـا، ورأى الرجـل فى حـركات الطفل مخـايل نجابة ومـلامح ذكاء، فقـال لها: لأن عاش هذا الغـلام ليسودن قومه، وغير قومه.

وكان معاوية رضى الله عنه كما رجـت وأملت أمه حكمة وسداداً وبصر، ألم تعلموا أنه سبـق أبويه إلى الإسلام وكـان من كُتاب الوحى فـى حياة النبى ﷺ وفى حيـاة الخلفاء مـن بعده، وما ينسـى أحداً أن بـلال وأبى سفيـان رضى الله عنهما كانـا بباب الخليفة عمر رضى الله عنـه يستأذنان فى الدخـول عليه فقال

الآذان: يا أمير المؤمنين بباب أبو سفيان وبلال، فغضب عمر لتقديم الآذان أبى سفيان على بلال، وقال للآذان: ليدخل بلال. وكان معاوية جالساً ورأى فى وجه عمر ما رأى من إستنكاره تقديم أبى سفيان فخرج إلى أبيه يعظه ويذكره أن أمير المؤمنين ما قدم بلالً عليه إلا لتقدمه إلى الإسلام، ولو قدم أبى سفيان لكان تقديمه بقيس وعبد شمس وغير ذلك من العصبيات التى لا ترجح أمام شرف السبق إلى الإسلام. وكانت كلمات معاوية برداً وسلاماً على قلب أبيه الذى قال: بارك الله فيك يابنى فوالله لا أرى بلال فى أحد سكك المدينة إلا قدمته علىّ .

إن الله تعالى خلق الإنسان ليعمل وما من عمل يؤدى على خير وجوهه إلا استوجب جهدا وأعوزت معه الإنسان طاقة وجدا، ألسنا نقرأ قول الله تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان فى كبد**﴾ [سورة البلد: ٤] .

... فى مشقة ومعاناة منذ تقلبه فى بطن أمه حملا فى ظلمات ثلاث ثم خرج إلى فسحة الدنيا ونور الحياة من ذلك المكان الضيق فإذا به بعد قليل يلف كما تلف الأشياء ثم هو بعد ذلك يقوم ويسقط ويمشى ويقع ثم هو بعد ذلك يستتم مدة من عمره فيذهب إلى المدرسة ويواجه عناء التحصيل ثم هو يطالب بإحسان عمله فى دروسه وصناعته وواجباته فإذا هو شب عن الطوق وارتقى صعدا فى مجال الدراسة أو الحركة خرج إلى الحياة ينهض بتكاليف ذويه من آباء وأسرة وهكذا تصنع له الحياة من الواجبات ما يقسو ويلين ويشق ويهون، تلك هى الحياة لابد أن نفهمها ميدانا يتنافس فيه الأكفاء ويحرصون على أداء الواجبات على أساس من مرضاة الله تبارك وتعالى، وكما لا يستوى

الذيـن يعلمون والـذين لا يعلمون لايستـوى الذين يعملـون والذيـن لا يعملون وبينما الـذين لا يعملون يتلقـون صدقات الآخـرين وفضلات مـوائد الآكلين، وذلك ضعـف فى الـرجولـة وسقوط فى الهمـة وقعود عـن وسائل الصعـود فى منازل الناس واليـد العليا كما يقول سيـدنا رسول الله ﷺ خير مـن اليد السفلى والعليا هى المنفقة والسفلى هى الآخذة بدون عذر شرعى .

نرى ذوى الهمـم يبذلـون الجهد فـى طلب المعـالى ويتـوسلون بشـريف الوسائل للغايات العليا .

إن من شب على شـىء شاب عليه ومن ترك الشجرة وهى فـى أطوار نموها الأولى عوجاء استعصـى عليه حين يكمل نموها أن يقيم منهـا ما اعوج وما زال يشب إلـى الذاكرة دستـور على بن أبى طـالب فى التـربية «لاعب ولـدك سبعا وأدبه سبعـا وصاحبه سبعـا ثم اترك حبله علـى غاربه». نـلاعب أطفالنـا حتى يبلغوا السـابعة وهى ملاعبـة تنفتح فيها مداركهـم على الآباء وما يعملـون وما يقولون ونؤدبهم ونبدأ بتوجيههم منذ السابعـة حتى يدركوا الرابعة عشرة وبذلك نضع قـاعدة لاتضطـرب لمرحلـة ثالثـة تبدأ بعـد الرابعـة عشرة وتنتهـى بتمام الإحدى والعشـرين مـن أعمارهـم وفيها نصاحبهـم وندفعهـم فى تيـار الحياة يمارسونهـا بإشراف منا ومبـاشرة لتصرفاتهـم مبدين الإحسان لمـا يحسنون فيه ومشجعين على ما لـم يصادفهم فيه التـوفيق، وحينئذ لانجد منهم الوكلة الذى يعتمد على غيره فى تدبير أمره وتسيير دفة سفينته، ولانجد فيهم الجبان الرعديد الـذى ينكص علـى الأعقاب كلمـا دعته حـركـة الحياة إلـى الجد والتشميـر ومواجهـة ما قد يشق ويصعـب من الواجبـات ولا نجد فيهم القاعـد والآخرون

يأخذون بالأسباب ويطرقون للحياة الشريفة شريف الأبواب فى مجتمع لايصلحه إلا العمل بصدق وأمانة وإصرار وإيثار وتعاون وسماحة وتوقير للكبير ورحمة للصغير وبر بالفقير وصلة الرحم وإحسان للجيران وإعلاء للمعروف بالتزامه قبل الأمر به وإنكار للمنكر بعد اجتنابه والسلامة من دنسه وترابه، قبل أن يقول قائل: ابدأ بنفسك فإنهها عن غيها والله تعالى يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون * كبرا مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون**﴾ [الصف : ٢، ٣] .

إن الإسلام دين الله الذى يعلم من خلق، ودعوة على رضوان الله عليه أن نلاعب أطفالنا ثم نؤدبهم ثم نصاحبهم، ولا شىء بعد هذا، تدرج راعاه ولحظه وهو يرى معلم الناس الخير صلوات الله عليه وقد جاءه صحابى يسأل أى العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أى؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أى؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله» متفق عليه رواه البخارى فى الجهاد ومسلم فى الإيمان عن ابن مسعود رضى الله عنه .

والجهاد فى سبيل الله أشرف الأعمال ففيه كر وفر وبذل للأموال، وجود بالأرواح حين تتعين فداء للحق وما جعله الله بابا من أبواب الجنة إلا ليرغب فيه جند الحق وأهل الله والأباء الذين لايرضون الدنية لدينهم وهو فى الحديث النبوى مرحلة خاتمة للصلاة التى يقول الحق تبارك وتعالى فيها: ﴿**إن الإنسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جذوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين**﴾ [المعارج: ٢٩ ـ ٣٢] .

وسلامـة ناشئتنا مـن الهلع والجزع بـالإعداد والتـوجيه وعون الله بكـل حال تقـدم فيها الصـلاة التى يحـافظ عليهـا الشباب عـوامل الإخصـاب الروحـى واستمرار النمو فإذا أضيف إلـى ذلك فيهم برهم بآبائهم كـان من آثار ذلك البر، كل إحسان و إذعان للمعروف يبادرون به الأبناء فيكون الأبناء بررة بالآباء وبمن وراء الآباء من أهل وجيران و إخوان فى فرصة الزمان وهم آخذون للحياة أشرف رسائلهـا ومداخلهـا، وبذلـك تقربهم الأعيـن ويكونـون قادة ذادة عـن دينهم ومقدساتهـم، وطوبى للمجاهدين فـى سبيل الله بعد أن بروا الوالـدين ووصلوا الرحم وأقاموا الصلاة التى تنهى عـن الفحشاء والمنكر فيما تثمره من خشية الله ومراقبتـه، والتطاوع فيها مـع المصلين وهم منـك عن شمال ويميـن وصفوف تتقدم وصفـوف وراء صفك وكلهـا معك تتعلم النظـام والطاعـة للإمـام الذى أطاع الله وتجرد لذلـك عن هواه وكان تبعا لما أبقى الله فينا مـن قول رسوله ﷺ «صلوا كما رأيتمونى أصلى» .

وبورك الشباب يتعلم بالقول والعمل، كيـف ينطلقون إلى إعلاء صرح الأمة المسلمة بطهر الصلاة ونورها .

■ من مدرسة النبوة للشباب :

١ ـ تربية نبوية :

كان حادى النصـح وصالح التوجيه مـن حظوظ فاطمة مـن أبيها رسول الله ﷺ وكان ابناها الحسـن والحسين يذهبان بأوفرسهم مـن عطف النبى ورفقه.. حتى لينـزل من المنبـر.. وشأن المنبـر فى الإسـلام جليل ليصلـح صلوات الله

وسلامه عليه من ثياب الحسن والحسين فقد كانا يتعثران فيها بطولها وهو يرى ذلك من منبره فلا يطيقه ..

.. ولكن هذه الرحمة تغدو أدبا، وينقلب ذلك الرفق تربية فيها شيء من الشدة الضرورية عندما يأخذ الحسن والحسين تمرتين.. أى وربى تمرتين اثنتين من تمر الصدقة ويرفع كل منهما غرته إلى فمه، فينكر ذلك عليهما النبى إنكارا لا هوادة فيه، ويمد يده الشريفة إلى فيهما فيخرج هاتين التمرتين قبل أن يذيبهما اللعاب، ويأخذا طريقهما إلى جوفيهما، وهو يقول... كخ كخ إنهما من تمر الصدقة التى لا تحل لمحمد ولا لآل محمد !!

ويا ويل الناس مما يفعل بعض الأبناء، ثم لا يكون توجيه ولا تربية يكون الأبناء بهما قرة عين الآباء فى الدنيا والآخرة.

.. وهل نتأمل تصرف الرجال من الحسن والحسين وهما فى سن الأشبال، لنعرف اشتغالهما بمعالى الأمور، وحرصهما على أن تكون أعمال الآخرين رائدة صحيحة؟! فما أكثر الذين لا يلفت أنظارهم من ناشئتنا العزيزة إلا ما يدعو إلى السخرية والتنديد بالآخرين..

.. لقد رأى الحسن والحسين رجلا يتوضأ فلا يحسن الوضوء فأزمعا أن ينصحا الرجل لتصلح عبادته، ويحسن مفتاح دخوله إلى الصلاة، ولكن كيف؟!

إن من النصح ما يغضب ويثير إذا لم ننطلق إليه بوصايا الإسلام بالحكمة والرفق والموعظة الحسنة والمداخلة الذكية.. ولقد كان ذلك فى حساب ابنى

رسول الله الحسن والحسين رضى الله عنهما، وهما يتقدمان إلى الرجل فيقولان: إننا نتنازع أينا أحسن وضوءا فهل لك أن تنظر إلى كل واحد منا وهو يتوضأ فتحكم أينا أصح وضوءا؟! وأبدى الرجل استعداده لما طلبا فى فرح وغبطة بالنفوس الكبيرة وإن غلفتها أجسام ناشئة صغيرة !

وتوضأ الحسن فأحسن، وتوضأ الحسين فأصاب، ورأى الرجل ذلك فقال: بارك الله عليكما، والله إن وضوءكما لخير من وضوئى ...

... ولن أستطرد فى تقديم الأمثال للناشئة العزيزة من شباب الحسن والحسين، فلذلك مراد لاينفد، ولكنى أوثر مثالا يعرف منه الأبناء والآباء على السواء كيف تثنى الأخلاق الفاضلة عنان الأعداء وتردهم أصدقاء خلصاء!!

قال الجردانى: عن عاصم بن المصطفى قال: دخلت المدينة فرأيت الحسين بن على رضى الله عنهما، فأعجبنى سمته وهيأته وحسن رؤيته فأثار منى الحسد ما كان يجنه صدرى ـ يخفيه ـ من البغض لأبيه. فقلت:

أنت ابن على بن أبى طالب؟ قال: نعم. فبالغت فى شتمه وشتم أبيه، فنظر إلى نظر عاطف رءوف. ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين* وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم * إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾ [الأعراف: ١٩٩ ـ ٢٠١] .

ثم قال.. خفض عليك الأمر، أستغفرُ الله لى ولك، إنك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرشدتنا لأرشدناك!!

قال عاصم: فندمت على ما فرط منى.

فقال: لاتثريب عليك، يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين.. أمن أهل الشام أنت؟ قلت: نعم..

قال: حياك الله وبياك وعافاك، انبسط لنا فى حوائجك وما يعرض لك، تجد عندنا أفضل ظنك إن شاء الله تعالى..

قال عاصم: فضاقت على الأرض بما رحبت، ووجدت أنها قد ساخت بى - هبطت - ثم تسللت عنه لواذا، وما على الأرض أحد أحب إلى من أبيه ومنه..

٢ - شباب يقدمه فضله ...

وإذا كان فى الناس من يتوصل إلى المآرب بجاه القريب والصاحب، ويطلبها بغير أسبابها المشروعة، فإن الإسلام «قرآنا وسنة» وسلوك راشدين - يجعل العمل هو معراج السبق، والفضل سبيل التقدم على اللدات والنظراء.. وسنورد هنا النزر اليسير من شباب الإسلام لتكون تحت أنظار الذين يستوردون الأمثال من شرق وغرب، جاهلين روائع ذخائرنا فى هذا الجانب وفى شتى جوانب المفاخر والكمالات.

.. قدم الرسول ﷺ أسامة بن زيد، وقلده إمرة جيش كان من جنوده مشيخة المهاجرين والأنصار وذوى السابقة فى الإسلام، إعلاء لمعنوية الحِب ابن الحب، وتربية عملية لأصحاب النبى صلوات الله عليه، على السمع والطاعة لمن ولاهم.. عليهم وفى مرضاة الله تعالى.

.. وقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عبد الله بن العباس

رضى الله عنهما، على كبار الصحابة، إشادة بالعلم، وعرفانا لأقدار الذين يرشحهم فضلهم من الشباب إلى التقديم والإعزاز والإيثار، بَلْهَ الأكفاء الجديرين بكل تقدير و إكبار... ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ [الأحقاف: ١٩]، فليرتفع شبابنا بأنفسهم إلى مستوى الفضل والعلم حتى تتصل قافلة الأبرار عبر الأعصار، وحتى يشهد لهم بصالح عملهم، ونافع علمهم كما كان يشهد الكبار لأمثالهم من قبل.

... فلقد أخر رسول الله ﷺ رافع بن خديج عن غزوة بدر، وأذن له فى الخروج إلى أحد، وهو حريص على الخروج مشغوف به، أكثر من شغف اللاهين بالخروج مع أشباههم إلى أماكن لا يكرمون بالتردد عليها..

.. وأصاب رافعا رضى الله عنه جرح يوم أحد، من سهم أدركه فى المعركة، فقال له الحفى الوفى ﷺ..

«أنا أشهد لك بها يوم القيامة» ..

وهى شهادة ما أعلاها وأغلاها ..

وعاش رافع بن خديج، فلم يلق الله إلا فى خلافة عبد الملك بن مروان الأموى، ما نقص جرحه عمره، ولا أدنى من أجله.

٣ ـ الشباب فى القرآن والسنة :

وللشباب الخير فى القرآن والسنة حديث جليل يدعو ناشئتنا العزيزة إلى التشبث به والارتفاع بالعلم والعمل، بالعقيدة والعبادة والسلوك إلى مستواه.

فلقد نوه القرآن بإيمان الشباب فقال: ﴿**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾ [الكهف: ١٣] .

وقال ﴿**فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم أن يفتنهم**﴾ [يونس: ٨٣] .

وخلد غضبة إبراهيم على الوثنية وضيقه بالشرك وهو غض الشباب رقيق الإهاب فقال على لسان قوم إبراهيم ﴿**سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم**﴾ [الأنبياء: ٦] .

وحسب الشباب أن يسلكهم الرسول صلوات الله عليه في سمط السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فقال «وشاب نشأ في عبادة ربه»..

٤ ـ الشباب فى الفكر العربى :

والشباب فى الفكر العربى يشغل حيزا هو أحق به وأهله ويرحم الله أبا العتاهية فهو يقول:

يالشباب المرح التصابى روائح الجنة فى الشبابِ

ومعذرة وأنا أورد هنا خاطرا طاف بى وأنا فى قطر من أقطار أمتنا الإسلامية فى ليلة كنت أعكف فيها على كتاب الله أتلوه وأتأمله فلما بلغت من قراءتى قول الله على لسان زكريا عليه السلام: ﴿**رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين**﴾ [الأنبياء: ٨٩] .

تذكرت أولادى وكنت نازح الدار بعيد المنزل منهم فقلت:

لاتذرني يارب فـــــردا وهب لي	**في بني الهـــدى وغالي النجـــابة**
إنهم ثروتي وأزرى فدعهـــــــم	**من شـــباب الإســلام بين الذؤابه**
يحفظون العرين والدين ما عاشوا	**ويحيـون في كمـــــال الصحابة**
ليس يغلي بني عنـــــــــدي إلا	**أن يكونوا في الحق أســد الغابة**
وســـــــــــواء عليَّ بعد أخلفت	**ثــــــــراء، أم رحت دون صُبابة**
فغناهـــــــــم بالله يسعد قلبي	**وأرى ما ســــــــواه عدل ذبابة**

■ الأبناء ودائع الله عنـدنا :

١ ـ الأبناء أمانـات الله عند الآباء استرعاهم إياهـم رب العالمين «وكل راع مسئول عن رعيته» متفق عليه عن طريق عبد الله بن عمر كما قال رسول الله ﷺ يأمرونهم بـالمعروف وينهونهم عن المنكر، ويحببون إليهـم الخير والبر، ومكارم الأخلاق، ومنها عدم النزول إلى مستوى المسيء فالله تعالى يقول: ﴿**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بـالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عـداوة كأنه ولي حميم**﴾ [فصلت: ٣٤] .

ويقول سبحانه ﴿**ادفع بـالتي هـي أحسن السيئة نحـن أعلم بمـا يصفون**﴾ [المـؤمنون: ٩٦] وإذا كـانت الآيـة الكريمـة الأولـى تؤكـد أن الإحسان إلـى المسيء يحـوله صـديقا صـدوقا ويصيره أخـا حميما ووليـا نصيرا، فـإن الآية الثانية يعقبها ما يـدل على أن الغضب نزغة من الشيطان الذي يـأمر بالفحشاء والشحناء والتعادي فيقـول تعالى ﴿**وقل رب أعـوذ بك من همزات الشيـاطين**

وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ إن من الخير أن نحبب إلى أبنائنا حسن المداخلة ولطف المعاملة والصفح عند المقدرة فإن الظلم كمين فى الأنفس تبرزه القوة ويحييه الضعف..

وإذا كان الله يقول ﴿**لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم**﴾ [النساء: ١٤٨]

فإنه سبحانه يقول فى أعقاب هذه الآية ﴿**إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا**﴾ [النساء: ١٤٩].

وما تتابعت رسالات المرسلين، ولا جاء الإسلام إلا بإقرار العدل والإحسان وإنكار البغى والإساءة والانفعال بالغضب الذى يقول فيه شوقى رحمه الله :

إنى غضبت فضاع أمرى من يدى والأمر يخرج من يد الغضبان

وحين يجرى الشيطان من الغاضب مجرى الدم، يملك الزمام، ويزين الآثام، ويغرى بالعصيان والخروج على أدب الله تعالى فى مثل قوله: ﴿**ادفع بالتى هى أحسن السيئة**﴾ [المؤمنون: ٩٦] .

﴿**ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**﴾ [فصلت: ٣٤] .

والرسول الذى قال للصحابى الذى استوصاه «لا تغضب» فعاد يستوهبه فما زاد فى المرة الثانية والثالثة عن قوله ﷺ «لا تغضب» .

ولو كرر الصحابى سؤاله مرات، ما زاد صلوات الله وسلامه عليه عن قوله

«لا تغضب» فلم يكن فى ذلك الرجـل من سيئة تستتبع سيئات إلا غضبه، فترك الغضب، فسلم من الآفات النفسية وكان المسلم الـذى يتفاعل مع أمثاله بالبر والتقوى، ويدعـو بحاله وقاِله «الغـاضبين فى غير حق؛ إلـى الاعتدال والكمال والمؤمن يغضب فى الله حين يتجـاوز الناس حدود الله، ولكنه يصطنع الحكمة وهو يسارع لاستنقاذ «إخوانه» مما يبعُد بهم عن الله تعالى وهداياته .

و إن نسيت فمـا أنس قـول رسول الله ﷺ «فإذا كـان يوم صـوم أحدكـم فلا يرفـث ولا يصخب و إن سابه أحـد أو شاتمه أو قـاتله ، فليقل إنى صـائم، إنى صائم» متفق عليه من حديث أبى هريرة.

وليس أمـر الرسول مجـرد القول، فما أكثـر ما يقـولون فيستأهلـون عقاب الله تعالى بمثل قوله ﴿**لم تقـولون ما لا تفعلـون *كبر مقتـا عند الله أن تقولـوا ما لا تفعلون**﴾ [الصف: ٢، ٣].

إن غريزة «المقاتلـة» من غرائز الإنسان، وهى مما لا ينفـك عنه بحال، لكن تعديلهـا وتعليتها وتأخير وجـه الانفعال بها إلـى أن تكون بالحق وللحـق، مما يجمل بـالمؤمن الـذى يأخذ رسـول الله ﷺ أسوتـه الحسنة، وهو يقـرأ قول الله تعالى ﴿**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنـة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

يغضب الطفل، ويغضب الكبير، ويغضب الإنسان فى مراحل شتى ومواقع من الحياة عدة. ومن الخير أن يتعلم الطفـل أن لا يوغل فى الغضب وهو يتعلم فى مدرستـه الأولى فى البيت من أمـه وأبيه وذويه أن المرء يدرك بـالإلف ما لا

يدرك بـالعنف، وما لم نكـن معلمى أطفالنا أن الغضـب انفعال قد تدعـو إليه غريزة «حب التملـك» أو «الذاتية المبكرة» فإننا نسـىء إليهم، ونحجب عنهم توجيها هو أعود بالخير عليهم مما نوفره لهم من وافر المال، وغالى المقتنيات .

ينبغى أن نفرغ فى أذنـه، أنه أخ لسائر الأولاد فى البيت وفى المـدرسة، وفى الحى الذى يسكنه، ومـا يصح بحال أن نغفل عن تصرفـات الصغار لانضيق عليهـم، ونشعرهـم بـوحشـة الحياة، ولكـن مـن أجـل أن نعرف دواعـى هـذه التصرفات ومـدى ما تعقب من خير أو شـر فنقدم إليهم الجوائز والحـوافز حين يحسنون، وننبههم فى حكمة ورحمة ورفق أن غيـر ما فعلوا أجدى وأعود بالنفع والخير علينـا وعليهم فـى فرصـة يمكن فيها التـوجيه وتصلـح التربيـة ويمكن التقويم «والبر لا يبلـى والإثم لا ينسى والديان لا يموت، كمـا قال معلم الناس الخيرﷺ ويا ويح الذين غفلوا عن هـذا الواجب لودائع الله عندنا حتى صاروا أهل قول القائل :

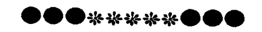
وراعى الشاء يقصى الذيب عنها ... فكيف إذا الرعاة غدو ذئابـا

●■■✻✻✻✻✻✻✻✻■■●

الفصـــل الثانى

الشـــباب وإثبات الـذات

١ ـ للشباب حاجات .
٢ ـ العناية بالطفولة فى الدين الخاتم .
٣ ـ قرة أعين .
٤ ـ مخاطر نحذرهم منها .
٥ ـ مظـاهر تغلب على الشباب .
٦ ـ حقهم فى الترويح .
٧ ـ آباء وأبنـــاء .
٨ ـ المخطط ليومهم وغدهم .
٩ ـ أبناؤنا وحق التعليم





■ **إثبات الذات :**

للشباب حاجات :

إذا كانت حاجة من عاش لاتنقضى فى يومه وليله وفى بيته وعمله وجوانب مجتمعه، فهو كما يقولون مدنى بطبعه موصول بغيره يعينهم ويستعين بهم وتتكامل قواهم وإمكانتهم فى فرصة الحياة الواحدة ويعملون معا ليسلموا الجيل الصاعد وما استخلفهم الله عليه على خير حالاته مع خير ما يقدم إليهم من الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة .

فإن للشباب حاجات تتقدم منهم فيما يوجبه الدين على المسئولين لشباب لم تتوفر لهم بعد وسائل الاستقلال والاكتفاء بالجهد الذاتى ومن ذلك نفقتهم فى حدود الطاقة وطعامهم وشرابهم وثيابهم ومساكنهم وتزويدهم بالقدر المتاح من العلم والاحتراف ووسائل الاكتساب الشريف .

وللشباب حاجات قد تتعارض وحاجات الآخرين وفى طليعتها الرغبة الجادة فى إثبات الذات وغريزة التملك وضغوط غريزة الجنس، والإسلام يعرض حلوله لتلكم المشكلات ويعرضها فى رفق وإيناس ويبلغ بشبابنا واحة الأمن والاستقرار والرضا من الجو العاصف الذى يجتاحه من شتى جهاته فهو يوجب على البيت وعلى المربين وعلى المسئولين أن يعفوا الجيل الجديد بالزواج فى أول فرصة تسنح غير معقدين هذا الأمر فى انتظار الفتاة التى تجىء وفى يديها كل الآمال والأمانى المادية والنفسية أو فى انتظار الفتى الغنى ابن الأكارم وهذه الماديات والمعنويات لابأس بها ولا مانع منها إن جاءت فى

ركاب الديـن فالنبى ﷺ يقول: (إذا أتـاكم من ترضـون دينه وأمانته فـزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) رواه الترمـذى من حديث أبى هريرة إن ذا الديـن عالى الهمـة شريف النفس واضـح القصد وهو بهـذه المثابة مـؤهل للثراء مؤهـل للتقدم والسيادة يرشحه دينـه لمقتضيات الثقة فيه بين قـومه وغير قومه وكـذلك ذات الدين تحيل بيوتنـا جنات وارفة الظلال جنية الثمـر تغمرها السكينة وتفيـض منها إلى مـا سواها مـن بيوت الأهـل الذين جعـل الله الزواج بينهم مودة ورحمة .

و إثبات الـذات مقبول مـن شبابنا مـا دام بريئـا من الغرور لـم تشبه شـائبة كريهة، شائبـة أن رأيهم هو الرأى و إن سواه تخلف وجمـود ورجعية كما تصرخ بذلـك بيئات تفتـل لبعض الشباب فـى الذروة والغارب وتعمـل جاهـدة على إيغار الصدور وتقليب الأمور بين جيلى الشباب والشيوخ .

وكم حمد الأولـون ملامح نجابة الشبـاب ووجوب أخذها ووضعهـا موضع الاعتبار والإكبار فقال أحدهم «عليكم بـآراء الأحداث ومشورة الشباب فإن لهم أذهانا تقـد المفاصل وتحطم الـذوابل» وقال حكيم آراء الشبـاب خضرة نضرة لـم يهصر غصنهـا هرم ولا خبـا من زكـائهـا بطول العـدة ضرم وكـان عمر بـن الخطاب رضى الله عنـه يقدم رأى ابن عباس فـي غير موقف علـى آراء مشيخة المهاجريـن والأنصار بعلم وفهم وعمـق إدراك لأسرار القرآن لا بحسبه الـزاكى ونسبه الرفيع ومن قبل قدم المعصوم صلوات الله عليـه أسامة بن زيد بن حارثة فى القيادة وأمره على جيش كان من جنوده فيه كبار الصحابة صحابة رسول الله ﷺ وأمضى الخليفـة الأول جيش أسامـة وأمسك بزمام فـرسه وهو منطلـق كان

أسامة على فرسه وكان أبو بكر يمشى فيقول أسامة يا خليفة رسول الله إما ركبتَ وإما نـزلتُ فقال أبو بكـر لا نزلتَ، ولا ركبـتُ، ومالى لا أعفـر قدمى ساعـة فى سبيل الله ومرحبا بإثبـات الذات حين ينمو فى أكناف بر الوالـدين وحب الإخوة والأخوات واحترام الأهـل وتوقير الكبار و إيثار الحق والصـواب ومؤازرة أهلهما فى الحكـم وجوانب المجتمـع المسلم ومخالطة المجـربين الذيـن حنكتهم الأيام وتخرجوا فى مدرسة الحياة بعامة وفى مدرسة الإسلام بخاصة .

إن مخالطة مثل هـؤلاء تحكم الوشائج بين شبابنـا وبين دينهم ومجتمعهم وتعصمهم من خطـل الرأى والاندفاع بغيـر تثبت فى الأمور والانفعـال «بالأنا» التى صرفت كثيرا وتصرف عن التفوق والصلاح فى أمور الدين والدنيا .

أجل ومـرحبا بإثبات الـذات حين يكون مـن شباب عرفوا أن الحيـاة دقائق وثـوان وأن الوقـت من ذهـب وأنه نسيـج حيـاة الإنسان ولبنـات عمره وبقـدر استثماره فى العمـل نبلغ المنى وندرك الأمـل فليس الإيمان بالتمنـى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

إن الـوقت كـالسيف إن لـم تقطعه قطعـك والفـرصة إن لـم تنتهز صـارت غصصا والـوقت أوجـب ما يجـب أن نرعاه وتـرعاه الشبيبـة لإثبات ذاتهـا فإن الكبار قد أدوا واجبهم وما زالوا يؤدونه بقـدر الإمكان ما خفق بين جنوبهم قلب وطرفت فيهم عين.

والله تعالى يقول: **﴿يا أيها الذيـن آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قـدمت لغد واتقـوا الله إن الله خبير بمـا تعملون * ولاتكـونـوا كالـذيـن نسوا الله فـأنساهـم**

أنفسهم﴾ [الحشر: ١٨، ١٩] ولقد ذكر الله المنافقين فقال **﴿نسوا الله فنسيهم﴾** [التوبة: ٦٧] ونسيان الله مضيعة لأوامره ومنها الانتفاع بالوقت واستغلال لحظات الحياة فى صالح الأعمال قبل أن تقول نفس ياليتنى قدمت لحياتى .

إن أعمار اللاهين الغافلين تتساقط كقطرات الماء التى تبدد رأس مال بائع الثلج فقد رووا أن رجلا كان يبيع ثلجا ولم يتقدم أحد للشراء منه فكان ينادى أيها الناس ارحموا من يذوب رأس ماله، والنبى ﷺ يقول: (بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة، والساعة أدهى وأمر) رواه مسلم والترمذى وأحمد من حديث أبى هريرة وكان الخليفة الأول أبو بكر رضوان الله عليه يقول: «اللهم لا تجعلنا فى غمرة، ولا تأخذنا على غرة، ولا تجعلنا من الغافلين» وكان أبو حفص عمر يقول: فى أدعيته اللهم إنا نسألك صلاح الساعات والبركة فى الأوقات وذو النورين عثمان رضوان الله تعالى عليه كان يقول: إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى فآثروا ما يبقى على ما يفنى. أورد ذلك ابن كثير فى تفسيره .

إن الإسلام يحل مشكلات الشباب جميعا وعليهم أن يعودوا إلى ذواتهم فيحصوا مشكلاتهم وأن يعودوا مرة ثانية إلى الإسلام قرآنا وسنة وسيرة وسلوك رجال فإنهم واجدون الرحمة والرفق والاستيعاب والإحاطة بما ذكرنا وما لم نذكر من أدوية وأشنية وحلول تؤكد أن الإسلام بحق دين الله وأن قارورة الدواء ليست فى سواه **﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾** . **﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا**

لهم عذابا أليما﴾ [الإسراء: ٩، ١٠] .

وما يجـدى شيئا تحسُر الـذى قال: «وليس براجـع ما فات منـى بلهف ولا بليت ولا لو انى».

■ العناية بالطفولة فى الدين الخاتم :

إن الشباب والإهـابة بـرعايتهـم يردون الأذهـان والعقول إلـى عنايـة فائقـة بالطفولة فى الدين العظيم باعتبارهـا المنطلق إلى ما وراءها من مراحل العمر، والله تبارك وتعالى يجمل قصة الأزل والأبد فى الإنسان فيقول:

﴿ولقد خلقنا الإنسان مـن سلالة من طين * ثم جعلناه نطفـة فى قرار مكين * ثم خلقنـا النطفة علقة * فخلقنا العلقـة مضغة * فخلقنا المضغة عظـاما * فكسونا العظام لحمـا * ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسـن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون* ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٦] .

والله تعالى صاحب الفضل والمنة علينا فهو يقول:

﴿يخلقكم فـى بطون أمهـاتكم خلقـا من بعـد خلق فـى ظلمات ثـلاث﴾ [الزمر: ٦] .

ولقد حصرها المفسرون قديما فى قولهم، ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، ويجيء المحـدثون فيذكرون الآية ويقـولون «ترشدنا هـذه الآية إلى حقيقة مقطوع بصحتها اليـوم كما فى علم الأجنة وهى أن جسـم الجنين يحيط به بعد نمـوه أغشية ثلاثة رقيقة دقيقـة تسمى الأغشية الصماء وهـى مع رقتها لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة» .

﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ .

وهذا الذى اكتشف قريبا أدق وأدل على قدرة الله وعلمه وعلى إعجاز القرآن من كلام القدامى رحمهم الله تعالى، ولقد كانت عناية الله بنا ونحن هناك.

﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء﴾ [آل عمران: ٦] .

فلا دخل لكائن بما استحدث ويحدث من وسائل العلم فى اقتحام قدرة الله أو التصرف فى مشيئته وهو سبحانه وتعالى يقول:

﴿ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا﴾ [الحج: ٥] .

وكم من مرة قال الطبيب لقد بقيت أيام أو ساعات على الولادة فلا ينتهى كلامه حتى تبدأ رحلة المولود مع الوجود وهو يحمل معه شواهد قدرة الله ومشاهد رحمته وحكمته فى الوالدة والولد وقد جعلهما الله تعالى مما أقسم به من خلقه ومخلوقاته فقال تعالى:

﴿لا أقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد * ووالد وما ولد * لقد خلقنا الإنسان فى كبد﴾ [البلد: ١ ـ ٤]

والحقيقة التى أقسم بها بعد أن أقسم بمكة التى درج الرسول ﷺ على أرضها حتى اصطفاه مولاه وأرسله رحمة للعالمين، حقيقة القسم بالوالد والدلد لها مغاز، وفيها أسرار لاينبغى أن تفوت أولى الأبصار فمنها فى الوالد أن يرتفع الآباء إلى مستوى الأبوة ويأخذوا أنفسهم بمقتضيات الرجولة المسئولة عمن استرعانا الله إياهم من أزواج وأهلين.

■ **قرة أعيـــن :**

ولقد سأل كثيربن زياد الشيخ الحسن البصرى عن قول الله تعالى:

﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ [الفرقان: ٧٤] .

ما هذه القرة أفى الدنيا هى أم فى الآخرة؟ فقال الحسن لا والله بل فى الدنيا قال وما هى قال والله أن يرى الله العبد من زوجـه من أخيه من حميمه طاعة الله لا والله ما شـىء أحب إلى المرء المسلـم من أن يرى ولدا أووالـدا أو حميما أو أخا مطيعا لله عزوجـل، والنبى ﷺ يسأله ابن عباس يارسـول الله قد علمنا حق الوالـد فما حـق الولد؟ فقـال «أن يحسن اسمـه ويحسن أدبـه» رواه البيهقى، وسفيان الثـورى رضى الله عنهمـا يقول ينبغى للـوالد أن يكـره ابنه علـى طلب الحديث فـإنه مسئول عنه وقال إن هذا الحـديث عزمن أراد به الدنيـا وجدها ومن أراد بـه الآخرة وجدهـا، وقول الثورى رضى الله عنـه إن الحديث عـز لكننا ينبغى أن نصطنـع كثيرا من الحكمـة قبل الإكـراه فإن تشويـق الأبناء إلى ذلك أجدى عليهم وأنفع لهم والصحابى الجليل سعـد بن أبى وقاص يقول لقد كنا نعلم أبنـاءنا سنـة النبى ﷺ وسيرتـه كما نعلمهم الآيـة من القـرآن، والنبى ﷺ يقول:

«رحم الله والدا أعان ولده على بـره» رواه البخارى ترجمة فى الأدب المفرد، وقد ورد بروايات أخـرى بين الرفع والضعف كما قال صـاحب كشف الخفاء . أعانه بإعداده وتعليمـه ودعوته إلى الاقتداء به واتباع طريقـه الذى لا يجاوز قيد شعرة سبيل القرآن ولا طريق السنة، والـوالدان يقول الرسول ﷺ فيهما: «ففيهما

فجاهـد» متفق عليه من حـديث عبد الله بن عمـرو بلفظ مسلـم وهو عنـد غيره، فبرهما يثمر أجر المجاهدين فى سبيل الله ومن مغازى القسم بالولد أن نعلم أنه نعمة من الله سيقـت إلينا فكم استشرفت نفـوس وأملت مثل ذلك الـولد فكان قضـاء الله مـن دون ذلـك ولله الحكمـة البـالغـة وأن النعـم لتفـرض لله شكـرا وتستوجـب صونا وتـدعو إلى حسـن القيام فيهـا ومادامت نعمـة الله إلا بشكره وذكـره وكم مـن أقوام نفـروا أنعـم الله فتركتهـم مـدبرة ولـم يستطيعوا لهـا ردا، والأطفال هـم اللبنـات التى تصلح بناء الحيـاة وترسى قواعـدها وترفع أركـانها بقدر مـا فيهم مـن صلاح، والعكس بـالعكس تمـاما، ومن أجـل هذا يـأمر الله مصطفاه صلوات الله عليه أن يسترعى إليهم انتباه الأمهات فى قوله تعالى:

﴿يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبـايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينـك فـى معـروف فبـايعهـن واستغفـر لهـن الله إن الله غفـور رحيـم﴾ [الممتحنة: ١٢] .

إنها قـواعد وطيدة للمجتمع الـراشد، وما أقبـح الشرك بالله وأخس السـرقة وأمقت الزنـى وأولى النهى عن قتـل الأولاد وهم الجسر المسلوك بيـن الماضى والحاضـر والمستقبل أن يكون واسطـة هذا العقـد من المناكـر والمحظورات ، فقد توسطت كبريات فى تركها أمـر الله لرسوله أن يبايع المؤمنات وأن يسأل الله لهن غفران ما كان فهو الغفور الرحيم .

والله تعالى ينبه العقلاء والأسوياء من غفلات ومضلات جعلتهم يبارزون الله بالعظائم ويذهبون مع أهوائهم عن هداه وموجبات رضاه فيقول:

﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذى خلقك فسواك فعدلك * فى أى صورة ما شاء ركبك﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨] .

ولابن القيم رحمه الله فى كتابه «مفتاح دار السعادة» كلمات وضيئة يشهد بها النظر فى الجنسين ذكورا وإناثا على أن الله خلق الإنسان حقا كما قال فى «أحسن تقويم» وأقسم على ذلك فقال:

﴿والتين والزيتون * وطور سنين وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ [التين: ١ ـ ٦] .

ولعل إدراكنا للصلة الوطيدة بين الآباء والأبناء والواقع يبرزها يُلحظ عكسها ونقيضها فى موقف الناس من ربهم ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها﴾ [الحج: ٢] يوم لا ينفع حميم حميما إلا بقدر ما كانوا يتواصون به من طاعة وصلاح. ﴿الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا إلا المتقين﴾ [الزخرف: ٦٧] وانفصام العرى يومئذ حتى بين الأصول والفروع يوجب أن يوقنوا أنهم عند الله فى رحاب رضاه مصداق قوله تعالى:

﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ [الطور: ٢١] .

■ هذه مخاطر نحذرهم منها :

إن استهواء الشباب ومحاولة التأثير عليهم وصرفهم عن مقتضيات الفطرة التى فطرهم الله عليها فطرة الإيمان وتوحيد الله والتزام أوامره واجتناب نواهيه كما يقول رسول الله ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه

أو يمجسانه» الشيخان عن أبى هريرة .

تلك هى المخاطر التى يواجهها الشباب من قريب وبعيد، ويصور أساليب تستعلن وتستخفى وتدخل على الشباب أنفسهم فالعود غض طرى وممارسة الحياة مازالت فى أول الطريق وهو مناخ تنمو فيه المخاطر ويبدو معها سرعة تقليد الشباب ذكورا وإناثا .

وجميل أن نهتم فى هذه الأيام بالطفولة لا لأن الأمم المتحدة تحتفل بعام الطفل الدولى ولو أنصف الناس لعلموا أن أحدا لم يول الطفولة والشباب من العناية والرعاية والاهتمام بعض ما أولى الإسلام وذلك أمر لا يثير عجبا من الدين الخاتم الذى لا يدع الناس فى حاجة إلى خير يأتى أو نور ينطلق من أية جهة على ظهر هذا الكوكب منذ أدى أمانته الرسول الخاتم ﷺ وإلى أبد الدهر وإن كانت الحكمة فيه ضالة المؤمن» القضاعى والترمذى وغيرهما بألفاظ متقاربة .

ولا أحب أن نكون على مستوى من التقليد البليد الذى ننكره على الناشئة ونحن نحتفل بعام الطفولة الدولى مثلا، ولنعتبره ذكرى تنفع ونحن نتجه فى أحفالنا تلك إلى استثارة ما فى كنانة الإسلام من سهام ودراسة ما فى الدين الخاتم من معالم تربية الطفل والاهتمام به وتنشئته على منهج الدين العظيم فى مصدريه القرآن والسنة ثم فى سيرة صحابة النبى والذين جاءوا من بعدهم على سبيل الإسلام، وعطاء الإسلام فى ذلك لا يدانيه سواه فى إعزاز الطفولة والحرص على أن تكون منطلقا لشباب طهور ورجولة تناط بها آمال العزة والكمال والجلال، وماذا يكون عطاء الناس من عطاء الرءوف الرحيم البر

الكريم سبحانه وتعالى وأن من الظلم لهم أن نغرقهم فى الرقص والأناشيد والشكليات التى تبعد بهم عما نريده له من إعداد .

إن على بن أبى طالب رضى الله عنه قرأ قول الله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**﴾ [التحريم: ٦] .

فقال علموهم وأدبوهم .

إن أولادنا على رأس أولى القربى فيمن أوجب الله عز وجل علينا الإحسان إليهم مقترنا بحقه تعالى فى عبادته فقال: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى**﴾ [النساء: ٣٦] .

والنبى ﷺ يقول: «اعدلوا بين أولادكم» رواه النسائى وأحمد وأبو داود عن النعمان ابن بشير . يقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله «فوصية الله الآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم» قال تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق**﴾ [الإسراء: ٣١] فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء و إهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا، وقد عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال الولد: يا أبى عققتنى صغيرا فعققتك كبيرا، وأضعتنى وليدا فأضعتك شيخا. إن إعزازنا للشباب وحرصنا على الطفولة العزيزة إنما نقيم الدليل على صدقهما بالعمل الجاد إلى المدى الذى يلمسه أطفالنا فينا ويحسونه ويدركهم أثره وقد تسأل ويسأل الكثيرون أين ثقافة الطفل وأدب الطفل فى كتب ترعى فيها

استعداداتهـم العقلية ومستـواهم الفكرى وهـى تأخذ مـن القرآن وتستمـد من السنة؟! وأين التمثيليـات التى يحبونها والتـى تجذب انتباههم ونحـن نودعها حكمة وكياسـة وبصرا ببعض ما فـى القرآن والسنة وسير الأطفـال والرجال فى القديم ومازلت أذكـر من عصورنا الأولى مع الدعوة إلـى الله قصة الطفل الذى قرأ سورة المزمـل ثم جاء أباه يسأل: من ذلـك الذى يقول الله له ﴿**قم الليل إلا قليلا**﴾ [المزمل: ١، ٢] فقال الأب ذلك يا بنى هـو النبى ﷺ فقال الصبى: فأنا أريد أن أقوم الليل كمـا قامه النبى ﷺ فقال الأب: إن ذلك نبـى الله، ولقد أوتى من القدرة والعون الإلهـى ما لم تؤت أنت ولا أحد من العالميـن ثم قرأ الصبى السورة حتـى وصل إلى قول الله تعـالى: ﴿**وطائفة من الـذين معك**﴾ [المزمل: ٢٠] فجاء أباه يسأل مـن هم الطائفة الذين يقول الله فيهم مـا قال فقال: هؤلاء أصحاب النبى ﷺ فقال الولد: فأنا أقوم كمـا قاموا فقال الأب يا بنى إنهـم أوتوا من صدق الدين وقوة البدن ما يؤهلهـم لذلك فقال الصبى لأبيه يا أبتى لا خير فيمن لا يقتدى فى الصالحات بالنبى ﷺ وبأصحابه .

فليكن نشـاطنا ـ والمستعـان الله جل جلالـه ـ فى تقـديم ما أعطـى القرآن الطفولة والشباب وما تركت السنة النبوية فى ذلك مع ما يحفظ فطرتهم وينمى بعون الله عقيدتهـم ويحبب إليهم الفضائل والكمالات ويبغـض إليهم الرذائل ولنكن صورا ونماذج لهذه الفضائل فلا يكذب أب ولا أم وهما يدعوان الناشئة إلى الصدق ولا تكـون الأفعال أبعد شىء مـن الأقوال، ﴿**والله يقول الحـق وهو يهدى السبيل**﴾ [الأحزاب: ٤] .

■ **مظاهر تغلب على الشباب :**

إن الشباب يغلب عليهم المرح ومظاهر الفرح الغامر والتفاؤل والاستبشار الموصول وما يكره الأسوياء من المسئولين أن يكون للشباب هذا ومثله معه وهم يأخذون نصيبهم من الجد والعمل والعرق والإحساس الصادق بالكلال الذى يشعر به من أدوا واجبهم ودفعوا ضريبة أنهم أحياء يدفعون مسيرة الحياة إلى أجلها الذى قدره الله لها وهم جنب إلى جنب وكتف إلى كتف مع سواهم، ألم يظفروا بالسبق والتقدم، فالتقدم فى مجال المنافسة الشريفة من شئون الأقوياء والأمناء والمرء حيث يضع نفسه.

إن فى حياة الحى شابا كان أو شيخا ما يثير البهجة ويبعث الغبطة ويدعو إلى السرور والمرح، ولكن الحياة وحياة الشباب لو أرهفوا السمع وحددوا النظر وسلمت منهم المدارك لا تخلو مما يدعو إلى غير هذا بالقدر الذى لا ينبغى أن يستسلموا له حتى يضنيهم ويأتى على حياتهم، ولكنهم يذكرون شدائدهم وشدائد ذويهم وإخوانهم ومن يليهم، وشدائد أوطان وإخوان فى الله من قريب وبعيد بالقدر الذى يدفعهم إلى مواساة وإسعاف ومعونة ومؤازرة يدفع الله بها السوء ويشعر معها الذين عضهم الدهر بناب أن لهم إخوة يقاسمونهم المشاعر والأحاسيس ويجاوزون منائح الإحساس إلى البذل والجود بالنفس جهادا فى سبيل الله، والجود بالنفس أقصى غاية الجود .

ولقد وصى حكيم ابنه فقال : يا بنى كن جوادا بالمال فى موضع الحق بخيل بالسر على جميع الخلق فإن من تمام كرم الحر القيام بالبر والبخل

بمكتوم السر، والحق أن البخل بمكتوم السر من تمـام كرم الحر ما لم يكن ذلك السر ضـارا بالغيـر يعرض كتمانـه الأفراد والجماعـات لمكروه ودفـع المفسدة مقدم على جلب المصلحة .

وقـاعدة الإسـلام المضطردة «لا ضـرر ولا ضرار» والمـؤمن يحـب لأخيه مـا يحب لنفسه كما روى البخارى رضـى الله عنه بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمـن أحدكم حتـى يحب لأخيه مـا يحب لنفســه» متفق عليه مـن حـديث أنس.

ولابن عباس رضى الله عنهما كلمة تنبع من ذلك الورد المصفى قال: (اذكر أخاك إذا غـاب عنك بما تحـب أن تُذكر به ودع عنـه ما تحب أن يـدع عنك)، والمؤمن يأخذ من السرور ورضا النفس ما جاء عن طريق الخير يسع الناس وهو يأسى لأساهـم وتحزنه الشدائد التى تصيبهم ولا يكـون بحال مبعث شقوة ولا مثار محنـة لهم فإن له نفسـا لوامة هـو معها كما قـال الإمام الغزالى فـى عراك مستعر ولا يتخلى الله عمن غلبت عليه نفسه اللوامة تلك .

والفرح المـوصول والمـرح المستمر يعلنان عـن قلب غـافل لاه، وفـى دنيا الناس ما فيها من ظلم صارخ وغبن قاهـر وتحرش واستطالة على الآخرين بغيا وعدوا وذلك قـدر قد يوجب على الفرحيـن أن يقاوموا الظالمين فمـن لم يفعل ذلـك خلع لبـاس الإيمان «فمـن لم يهتـم بـأمر النـاس فليس منهـم» أخرجـه البيهقى والطبرانى عن أنس وهو بزيادة عنـد غيرهما. وقد قال أحدهم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يعظ:ه يا أمير المؤمنين لو كنت فى المشرق وعلمت

أن أخا لك فى المغرب يظلم فلم يحزنك أمره فلست بمسلم .

وغريزة المقاتلة من أقدم الغرائز التى ركبها الله تعالى فينا والإيمان بالله الذى أحاط بكل شىء علما والذى يجزى بالخير خيرا وبالسوء سوءا يهذبها ويعليها حين يتسامى بها العقلاء إلى الغضب لخير جاءت فرصته فلم تنتهز ولشر ومنكر شاعا فى الناس فلم ننهض لتغييرهما والتعفية عليهما ليخلو الجو للفضائل والكمالات .

لكن غريزة المقاتلة تبرز فى الشباب كثيرا ويظهر اندفاعهم وغضبهم وتأثرهم بالأحداث قبل أن يعملوا فيها عقلا وقبل أن يحركوا قواهم للنظر فى جرائرها وعواقبها والكاظمون الغيظ من استوجبوا ثناء ربهم تبارك وتعالى ومن ملك نفسه كان الخيار بيده وصدق الله العظيم .

﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] .

والله تعالى يقول :

﴿وقولوا للناس حسنا﴾ [البقرة: ٨٣] ويقول: **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾** [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

وكم من موقـف كان يمكن أن تنهيه كلمة طيبة اندفـع فيه الشباب بحماس وندرة تمـرسهم بمـا لابد للحيـاة منه من سعـة صدر وطـول صبر وامتـداد أفق وحسن إدراك وتصور لـلأمور وأمعنوا فى الانفعـال والاندفاع والفهم الخـاطىء للكرامة والحرية، وأنه ما ينبغى أن يعلو إلا صوتهم ولا يمضى إلا مرادهم ناسين من مآثر أوائلنا (لا تجعل عزة الغضب تـذهب بك إلى ذلة الاعتذار)، ورحم الله الذى قال:

ما أن ندمت على سكوتى مرة ... ولكم ندمت على الكلام مرارا

وكم هو غرور أخرج عـدو البشرية إبليس من الجنة وجعله مذمـوما مدحورا منذ تكبـر عن السجـود لآدم وعصى أمر الله بـذلك واغتـر فقال ﴿**أأسجد لمـن خلقت طينا**﴾ [الإسراء: ٦١] وقال مـا حكى الله عنه ﴿**أنا خير منـه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾، [ص: ٧٦]. وغرور الشباب يصرفهم عن وسائل المجد الصحيح ويدفع غيرهم من أمثالهم فهم يمضون فى طريق ذلك المجد بشىء من حسن فهمهم لأنفسهـم وأن حكمة الشيخ لا بد لهم من كفـل منها والغرور والإخفاق كما قيل وكما يرى فى دنيا الناس توأمان .

يقول ابن قيـم الجوزية فى كتابـه (بدائع الفوائد)(شجرة الصنوبـر تنمو فى ثلاثيـن سنة، وشجرة الدُّبَّـاء تصعد فى أسبوعيـن. فتقول الدباء للصنـوبرة: إن الطريق التى قطعتيها فى ثلاثين سنة قطعتها أنا فى أسبوعين، ويقال لى شجرة ولك شجرة، فقالت لها الصنوبرة مهلا حتى تهب رياح الخريف فإن ثَـبَتِّ لها تم فخرك) «وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان» .

وما أحسن ما صور الإمام وما أبدع ما مثل للأكفاء والأدعياء الفارغين الذين تخرس ألسنتهم فى مواقف الحرج وتطيش ألبابهم بينما الحكماء الألباء يتصرفون بسداد و يصدرون فيما يقولون و يعملون عن بصر ووضوح رؤية وفرط يقين .

وابن القيم فى بدائعه يوصى وأود أن يعى الشباب هذه الوصاة فإنهم إن شبوا عليها واعتبروها فيما يستقبلون من أيام حياتهم سعدوا وأسعدوا. قال (حذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء أحدهما رد الحق لمخالفته هواك فإنك تعاقب بتقليب القلب، ورد ما يرد عليك من الحق رأسا ولا تقبله إلا إذا برز فى قالب هواك. قال تعالى ﴿**ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون**﴾ [الأنعام: ١١٠] .

والثانى التهاون بالأمر إذا حضر وقته فإنك إن تهاونت به ثبطك الله وأقعدك عن مراضيه وأوامره عقوبة لك، قال تعالى: ﴿**فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين**﴾ [التوبة: ٨٣] فمن سلم من هاتين الآفتين والبليتين العظيمتين فلتهنه السلامة) اهـ .

أيها الشباب أود أن تهنيكم السلامة .

■ حقهم فى الترويح :

إن الترويح عن النفوس التى أدت واجبها فى مختلف ميادين الحياة

واستشعرت المهام التى ألقاها الله على مناكبها للدين والدنيا فقامت من ذلك بما يكمل به الدين وتصلح الدنيا هذا الترويح عن تلك الأنفس لا ينكره الإسلام مادام مصحوبا بعرفان المرء بكرامته وحرصه على شرفه وسمعته وعلمه أنه ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم**﴾ [المجادلة: ٧] وتمثله لتلك الكلمة الوضيئة أن النفوس تمل كما تمل الأبدان، فالتمسوا لها طرائف الحكم ومن مأثوراتنا الإسلامية ما رواه أبو داود وغيره (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإنها إذا كلت عميت) إن كلال الأجسام ليس غاية يستهدفها الإسلام والتكاليف الإسلامية كلها مطبوعة بطاقة المكلفين ونحن نقرأ قول الله تعالى ﴿**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**﴾ [البقرة: ٢٨٦] ونقرأ فى نهاية الآية من سورة البقرة ﴿**ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾ [البقرة: ٢٨٦] وحياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه كما يبدو لنا فى كتاب الله وسنة مصطفاه مما كتب كتاب السيرة العطرة عامرة بمداعبته لأهله وأصحابه وملاطفته لصغارهم وأنه كان يضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحكه التبسم انطلاقا من طبيعة البشر فيه أولا، ثم من حقيقة إنسانيته الوافرة صلوات الله وسلامه عليه ولكنه الضحك الذى لا يغفل لحظة أبدا عن الله وما عدا الصدق والحق حاشاه فى جد أو هزل .

والإسلام دين الله الذى يعلمُ من خلق والذى فطر الناس على غرائز وميول وعواطف ليس من الخير تعطيلها ومقاومتها وحسب المؤمن السوى أن يأخذ نفسه حيالها بما ينبغى لها من إعلاء وتهذيب وتعديل وأن يمنح نفسه منها القدر الذى لا تدخل به فى مجال الإسراف أو الإسفاف، فكل شىء لضده يتحول، والقصد والاعتدال والوسطية فى كل شىء حتى فى العبادات هى مزاج هذا الدين العظيم وهى السمة المميزة للإسلام عن كل دين سماوى، وأساليب الترفيه المشروع ووسائل الترويح الرفيع منذ كان الناس كثيرة، وقد استحدث العصر منها ما إن أحسنا استعماله لأجدى وأفاد. والله تعالى يذكر فى كتابه الكريم حقائق الإيمان والخلق والبعث بعد الموت ويكشف طبائع الناس أمام صروف الحياة ويقرن بذلك ما يضاعف اليقين فيه والثقة به بما يضرب من أمثال، شأنها فى بيان الحقائق لا يخفى ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾ [العنكبوت: ٤٣] .

إن رعاية حاجة الشباب الفطرية إلى الترويح من كلال الأعمال والطب لأنفسهم من عناء واجب أدوه لا ينبغى أن تفوت الذين يخططون لخير الشباب المسلم والإسلام يعين على ذلك وقد تكون تكاليف الصلاة قياما وقعودا وركوعا وسجودا وتكاليف الحج سفرا وارتحالا وحركة موصولة بالطواف والسعى ورمى الجمرات والحياة بعيدا عن الترف حيث عاش النبى ﷺ فى عرفة ومزدلفة ومنى قد تكون هذه التكاليف دعوة عملية لهذا الترويح إلى جوار ما ألمح إليه الرسول وسنه من الرياضات البدنية كالسباحة والسبق على الأقدام وعلى الخيل والإبل والرمى وغيرها وما أقسم الله ﴿**والعاديات ضبحا**﴾

[العاديات: ١ ـ ٣] وقال عن الخيل ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ [العاديات: ٨] . وقال النبى ﷺ (الخيل معقود بنواصيها الخير) رواه ابن ماجه، والترمذى إلا ليتجه الشباب إلى هذه الرياضات التى تبنى الذات من جهاتها الروحية والنفسية والبدنية فى شباب عزيز، وبدين هو دين الفطرة لاريب، وتحرير من كرة القدم التى ليست وحدها الرياضة، وإن ضحاياها وجرائرها لتصرخ فى الناس، وتهز جوانب المجتمع لو سمعت الآذان !!.

■ **آباء وأبناء :**

حسب الآباء الأسوياء أن يقرن الله وجوب برهم والإحسان إليهم جهد إستطاعتنا بحق الله عز وجل فى أن يُعبد فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يجحد فضله كما استفاض ذلك فى كتاب الله وفى رسالات المرسلين بعامة ورسالة الإسلام المهيمنة على ما سواها من كلمات الله ورسلاته عبر الأجيال والعصور.

ولقد سعد أقوامٌ بروا آبائهم وأحسنوا إليهم واثقين أنهم وإن بلغوا فى ذلك المدى فإن حق الأبوين سيبقى عظيم المرتقى ونحن بسبيل الأبناء ودائع الله عند الآباء البصراء بمراد الله عز وجل فى أن يطلبوا رضوان الله عز وجل عليهم بتعاهد آبنائهم ذكورا وإناثا منذ أول بادرةٍ من بوادر فهمهم وإدراكهم لما يطيب ويُحسن أو يقبح وأن يحاولوا والله معهم أن لاتبلغ آذان الناشئة كلمة من أب أو أم ليست من الخير فى شيء وأن لاتقع أعينهم من أبويهم على تصرف هو أسرع شيء على أن يكون مسلكهم أو يصنع فى الحياة منهجهم أو يكون

طبيعة فيهم يصعب أن نخلعهم عنها أو ننقذهم منها «فمن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب» كما قالوا .

وكم كان النبى ﷺ يولى الناشئة العزيزة من أهله ومن غير أهله وهو عليه الصلاة والسلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم يولى هذه الناشئة رعايته وعنايته ولطف توجيهه وإن نسيت فمت أنسى أنه صلوات الله عليه كان على مائدته وبين أصحابه طفل صغير يتناول معهم الطعام وكانت يد الطفل تطيش فى الصحفة يميناً وشمالاً وفى جوانب الصحفة وذلك تصرف قد يعذر فيه الطفل حتى نعلمه ويقوى ذهنه على معرفة آداب الموائد وقد يثير شىء من امتعاض الممتعضين الذين ما سألوا أنفسهم ماذا أدينا للطفولة المبكرة من صالح التوجيه وخالص النصح وإذا بالنبى عليه الصلاة والسلام بكل ما طبعه الله عليه من رفق و إيناس ووداده للصغار والكبار من أصحابه وذويهم يقول للطفل: «يا غلام سمِّ الله وكلْ بيمينك وكلْ مما يليك» وهى كلمات لا يصعب حفظها وتمثلها كلما رأوا مثل ما رأى النبى عليه الصلاة والسلام ليصنعوا بها جسور أدب عالٍ وتقويم صحيح وما أندى قول الرسول «يا غلام» وقوله عليه الصلاة والسلام «سم الله» الذى يبارك الطعام والشراب وكل ما نأخذه من عمل وما نبدأه من صنيع حتى يجرى أمرنا على هدى من الله وتوفيق فكل ما لم يبدأ ببسم الله فهو قليل البركة عديم النفع وما أجل قوله صلوات الله عليه «كل بيمينك» فإن اليمين يمن وبركة نأخذ بها ونعطى ونأكل بها ونشرب ونبدأ بميامننا فى كل ما نأخذ وندع وبها يسلم المؤمن على المؤمن ولأصحاب اليمين شأنهم من إعزاز الله فى الحياة وفيما وراء الحياة وتبقى ليديك اليسرى

مهمتها حين تنحى بها عنك الأذى وتزيل الفضلات والزوائد وما أجل قوله صلوات الله عليه «وكل مما يليك» حتى لا تبرم أحدًا ولا تثير منه امتعاضا ولا إنكارًا وما ينسى أحد ذلك الابن الذى بلغ مبلغ الرجال وصار له مال من عمل يده وكان أبوه ربما طالبه من ذلك المال بأكبر حظوظه وذهب ذلك الذى كان بالأمس طفلا يُرعى ويرأم ويبر ويكرم ويتحمل الأبوان فى سبيل إسعاده من مشقة وحرمان حتى يرضى، جاء ذلك الشاب النبى ﷺ يشكى إليه أن أباه يستحوذ على كل ما تناله يده يده من عرق جبنيه وكد يمينه فأمر الرسول أن يجلس وأرسل يطلب أباه لينظر فى أمرهما وذهب رسول رسول الله إلى الأب يدعوه للقاء النبى وعرف الوالد أن ابنه شكاه عند رسول الله بما شكاه به فاسترجع فى نفسه ما صنع لابنه فيما سلف أيامه وحدث نفسه بحديث ما نطق به لسانه ولا سمعته أذناه ولا انفرجت عنه شفتاه فلما وصل إلى رسول الله ﷺ كان جبريل أسرع إلى النبى يأمره أن يحدثه عن المعانى التى دارت فى نفسه لم تكن كلاما انفرجت عنه شفتاه فسأل الرسول الرجل عن ذلك فقال: يارسول الله والله ما يزدنا الله بك إلا إيمانا وبقينا ثم ذكر الكلام الذى تحرك فى نفسه والنبى يسمع إليه وهو يقول مخاطبا ابنه :

غدوتك مولودًا ومنتك يافعا	تعلُّ بما أجنى عليك وتنهلُ
إذ ليلة ضاقتك بالسقم لم أبت	لسقمك إلا شاكيا أتململُ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى	طرقت به دونى فعيناى تهملُ
فلما بلغت السن والغاية التى	إليها مدى ما كنت فيك أؤملُ

جعلت جزائى غلظـــة وفظاظة   كأنك أنت المنعم المتفضـلُ

حتى قال:

فليتك إذ لم ترع حق أبوتى   فعلت كما الجار المجاور يفعلُ

فإذا بـالنبى عليه الصـلاة والسلام يلتفت إلى الابـن ويقول: «أنت ومـالك لأبيك» ويكررهـا وهذه الكلمات النبوية مـن حديث جابر بـن عبد الله رواه ابن ماجه ومـن حديث عبد الله بن عمـرو بن العاص ورواه أحمد بسنـده. وأنا أذكر ذلك الذى قدمته من ذاكرتى أو كما قال ﷺ.

وودائع الله عندنا بنيـن وبنات خليقون بأن نستقصى أنباءهـم فى كتاب الله وسنة رسوله، وتصرفات الآباء عبر العصور، وفيما أذكره ههنا عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشـدين رضى الله عنه كما كانوا يصفونه إنـه ابن ابنة عاصم بن عمر بـن الخطاب رضى الله عنه، وأمها بائعـة اللّبن يذيع ذكرها فـى التاريخ حين قالت لابنتها: قـومى يا ابنتى فضعى على اللبن شيئا مـن الماء حتى نبيعه غدا بثمـن يعود علينـا بالسعـة، فقالـت لها ابنتهـا: كيف يـا أماه ومنـادى أمير المؤمنين عمر ينادى بصوت يتردد فى جوانب المدينة المنورة ألا تخلطوا اللبن بالماء؟ فقالت الأم: وأيـن منا عين أمير المؤمنين، فقالت لهـا ابنتها: يا أماه إن كانت عين أمير المؤمنين لا ترانا، فعين الله عز وجل ترانا.

ذلك حـديث دارهمـا فى ليلـة من الليـالى وكـان عمر مـع بعض العسـس يتعرفوا فـى خفية أهوال المجتمع المدنـى بخيره وإسعاده ـ ويـا ولاة أمر الأمة الإسلاميـة ـ ليتكم تسمعـون ما سمع عمـر من ذلك الحـديث الهامـس الذى

أصبح فعرف أصحابه أما وابنة أما غفلت، وابنة خشيت ربها تبارك وتعالى، فما اكتفى عمر بأن يمد ذلك البيت بأسباب السعة والدعة، ولكنه جمع بنيه وقال لهم: من يريد أن يتزوج تلك الفتاة التى لو كان لى أرب فى النساء ما سبقنى واحد منكم إليها، وتزوجها عاصم بن عمر ابن أمير المؤمنين، وأنجبت له ابنة كان زوجة لأمير بنى أمية فى مصر عبد العزيز بن مروان، الذى أنجبت له عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، وهو مثل كريم لودائع الله عن الآباء، جنبه أبوه الطرف، وكان عمر بطبيعته أهلا لأن يكون رجلا ومثلا لأنه تربى فى بيت أخوال أمه فى المدينة المنورة، ونهل من علمهم ما نهل، وقال لابنه يوما وقد رأى فى يده خاتما ذا قيمة يابنى بع ذلك الخاتم وتصدق بثمنه واشتر خاتما من حديد وأكتب عليه (رحم الله امرء عرف قدر نفسه) .

«ويرحم الله أبا حفص عمر وفقد كان من قوم يئدون البنات وقد شارك فى ذلك فى جاهليته فلما أسلم كان كلما قرأ قول الله تعالى ﴿**وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت**﴾ [التكوير: ٩] بكى بكاءاً شديدا متذكراً جهل الجاهلية وكان فى آخر أمره على أدب الله عز وجل فى رعاية الأبناء إذا بشر بإنثى قال «وردة اشمها ورزقها على الله».

وهكذا ينبغى أن يكون ودائع الآباء حتى نجدهم فى موازين حسناتنا يوم نلقى ربنا سبحانه وتعالى .

■ التخطيط ليومهم وغدهم :

إن الشباب من الجنسين ذكورا و إناثا لابد من التخطيط ليومهم وغدهم،

وكبر مقتـا عند الله أن نفـرح بالفتيان حيـن يولدون، ونغتبـط بغدوهـم ورواحهم وأمانـي نجاحهم دون أن نجعلهـم في ذلك على سـواء والفتيات حين يـولدن ويدرجن على طريق الحياة فى خفر وحيـاء والتزام للحشمة والوقار الذى يريده رب العالميـن من شقائق الرجـال وجلت منة الله علينـا بالذكور والإنـاث وهو يقول ﴿**وأنه خلق الزوجيـن الذكر والأنثى**﴾ [النجم: ٤٥] ولحكمةٍ جليلـة قدم الله عز وجل فـى بيان خلقه ومخلوقاتـه الإناث على الذكـور فهو يقول: ﴿**يهب لمن يشـاء إناثـا ويهب لمـن يشاء الـذكور**﴾ [الشـورى: ٤٩] أن المستفيـض المأثـور أن رسول الله ﷺ قد رُزق البنات والبنيـن فكانت له زينـب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وكـان له ثلاثة ذكور وكلهم وكلهن من أم المـؤمنين خديجة إلا إبراهيم فـإنه من مارية القبطية واستـأثرت رحمة الله بذكور مصطفاه و إنـاثه فى حياته إلا فاطمـة فقد اقتضت حكمته تبارك وتعالى أن تموت بعـد أبيها بأشهر ستة رضى الله عنها ومنهـا كان ابناها الحسن والحسين ابنـى على وأولادهم من بعدهم رضى الله عنهم أجمعين .

... بقـى فى المجتمع المسلـم رواسب وآثار مـن الجاهلية الأولـى، وقص القرآن الكريـم من أخبار القوم فـى القديم ما يكـاد يكون واقعا فى دنيـا الناس اليوم برغـم ما يستفيض به الحـديث الشريف. وتـذخر به الســنة المطهرة من حفاوة النبى ﷺ بالبنات ويبرز ذلـك من سيرتـه هو صلوات الله وسلامـه عليه فنرى حظا كافيا فـى إسـكات أولئك الذين ينظرون إلى الأنثى شـزرا ولا يولونها من الاهتمام ما يولــون أخاها !

فعن ابن عباس رضى الله عنهمـا أن رسول الله ﷺ قـال (ما من أحـد يدرك

ابنتين أحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة) أخرجه الموطأ والنسائى وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد كما قال الإمام العراقى. وروى الترمذى من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: (من عال جاريتين حتى تدركا دخلت أنا وهو فى الجنة كهاتين) والنبى عليه الصلاة والسلام كان دائما يشير بالسبابة والوسطى . توكيدا عمليا لما عنته الكلمات النبوية الدالة الهادية.

وفى بعض المجتمعات تتسع جوانب الإهمال فتشمل الذكور والإناث، لكنى قبل أن أفيض فى هذا المعنى أذكر أن آثار الجاهلية بقيت فى عصور تعاقبت فكان رجل كأبى حمزة وقد تزوج من امرأة ولدت له البنات ثم حملت بعد ذلك فقال لها: إن ولدت أنثى فهذا فراق بينى وبينك، وولدت أنثى، وترك الرجل بيته وكان يغدو ويروح على بيت آخر له ، ويقدم لزوجه وبنيه ما يلزم الآباء وفى يوم من الأيام سمع امرأته تغنى لطفلتها الأخيرة وتقول:

ما لأبى حمزة لايأتينا يبيت فى البيت الذى يلينا

غضبان ألا نلد البنين تالله ما ذلك فى أيدينا

فنحن كالأرض لزارعينا ننبت ما قد غرسوه فينا

وبلغت كلمات المرأة قلب زوجها فإذا به يعود إلى بيته وإذا به يجد بعد قليل أن الذى رزقه الإناث قد رزقه الذكور.

إن فى بعض المجتمعات تتسع جوانب الإهمال فتشمل الذكور والإناث على سواء حين يحيا الرجل لنفسه ولا يعرف بيته إلا حين تصرخ به بطنه، أو يلح عليه نوم قاهر وكم يسكتون صراخ بطونهم بما يأخذونه من طعام كفافا أو علالة

إلى حين، وفى الأمهات من تشغلهن الأســـواق وتتبعُ آخر ما يقذفنا بـه الغرب من أزيـاء وأدوات تجميل وكـأنما لحظ شـوقى رحمـه الله هؤلاء وأولئـك وهـو يقول:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هاذى الحياة وخلفـاه ذليلا

إن اليتيـــــم هو الذى تلقى له أما تخلت أو أبـا مشـغولا

إن النبى ﷺ وهو بكل أحواله القدوة الحسنة والأسوة الطيبة كان يؤتى أُمامة بنت زينب ابنته مثـل ما يعطى الحسن والحسين رضوان الله علـى الجميع من هشاشة وبشاشة واهتمام ورعاية .

وهذا شداد بـن الهادِ يروى أنهم صلوا وراء رسول الله ﷺ صـلاة أطال فيها السجود حتـى ظن الصحابة أن الـرسول قد أصابـه أمر أو نزل عليه وحـى فلما انتهى الرسول مـن صلاته صارحوه بما خـامرهم ووقع فى خواطـرهم فقال ﷺ «كل ذلـك لم يكـن لكن ابنى هـذا ارتحلنى فكرهـت أن أعجله حتـى يقضى حاجته» رواه النسائى وأحمد من حديـث شداد بن الهاد وهو صلوات الله عليه يحمل فى صلاة الفريضة أُمامة بنت زينب ابنته فإذا ركع أو سجد وضعها و إذا قام رفعها وكان صلـوات الله عليه أندى الناس عاطفة مـع أولاد أصحابه وكتب السنة حافلـة بفيض من شواهد ذلـك، وقد كان صلوات الله عليه يغسـل بيديه الشريفتين وجه أسامـة بن زيد بن حارثة فى صباه، ويسميـه الحِبّ ابن الحب ويداعب صغـار أصحابه إذا حضروا ويسـأل عنهم إذا غابوا ويـوم ذهبت بنت أحد أصحابه تلعب بخاتم النبوة بين كتفى النبى ﷺ وزجرها أبوها إعزازا لقدر

المصطفى صلوات الله عليه أمر الرءوف الرحيم، الرجل أن يدع ابنته وما تفعل ودعا لها وبرَّك عليها صلوات الله وسلامه عليه فكانت ميمونة الغدوات والروحات بعد قول الرسول لها: «عيشى وأخلِقى» رواه الترمذى.

نعم إن السنة زاخرة بالآداب وبكثير من صنوف الرعاية النبوية بأولئك الشباب منذ ولادتهم وفى السنة اختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح باعتبارهما السبيل لهذه الناشئة العزيزة فالمرأة تنكح لمالها وجمالها وحسبها ودينها ولكن المصطفى صلوات الله عليه بعد أن قرر هذه الحقيقة يقول «فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة .

والنبى صلوات الله وسلامه عليه يأمر بأن نتخير لنطفنا ، رواه ابن ماجه والبيهقى والحاكم والدارقطنى عن عائشة رضى الله عنها. وهو بذلك يرعى الوراثة الخَلقية والخُلقية فهى من توجيهات النبوة .

ولا يزال يتجاوب فى خاطرى حوار ذلك العربى القديم الذى جمع إليه أبناءه يوما وقال لهم لقد أحسنت إليكم صغارا وأحسنت إليكم كبارا وأحسنت إليكم قبل أن تولدوا، فقالوا إن إحسانك إلينا صغارا، وإحسانك إلينا كبارا، مما لا نمارى فيه فكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ فأنشد :

وأول إحسانى إليكم تخيرى لماجـــدة الأعراق بادٍ عفافها

وما أسعد الذين يخططون للشباب وهم يراجعون القرآن والسنة ليعرفوا من هم الشباب وما هى حقوقهم على الآباء والأمهات والمربين والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

■ **أبناؤنا وحق التعليم :**

إن من حق أبنـائنا علينا أن نطمئن على منـاهج دراستهم ذكورا و إنـاثا وفى كثير من مدارسنا مجالس للآباء يشهد مثلها فى مدارس البنات الأمهات، وهذه المجالـس قنوات يسهـم عن طـريقها الـوالدان والأوصيـاء فى كثيـر من أمـور النـاشئة العـزيـزة مـع المربيـن، ومـا ينبغى أن يغيـب أوليـاء الأمـور عن هـذه المؤسسـات فهم يستطيعـون بما طبـع الله عليه قلـوبهم مـن حب الأبنـاء، أن يدفعوا دولاب مدارسنا فى الطريق السـوى، الذى يتفق وما وضعت البيوت من أسس صالحـة فلاريب فى أن البيت هـو المدرسة الأولى وهـو الذى يمكن أن يكون هـو والمدرسـة سياجا منيعـا للناشئـة مما نحاذر أن يصيبهـم من فـوضى تواجههم فى جوانب المجتمع والحياة .

إن الكـائن الحى، والإنسـان المستخلـف تؤلفـه مـادة وروح، ومـا كانـت الأجسام كل شىء يستـوجب الاهتمام فى الناشئة المؤملـة، ورحم الله من قال: «المرء بأصغريه، قلبه ولسانه» .

فى قصة الشاب الذى كان متحدثا عن الوفد الذى جاء من الجزيرة العربية مهنئا عمر بن عبد العزيز بالخلافة. والشاعر يقول:

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وتزكية الأنفـس، من أكبر ما وصـف الله رسوله ﷺ فقال تعـالى: ﴿**هو الذى بعـث فى الأميـن رسولا منهـم يتلو عليهـم آياتـه ويزكيهـم ويعلمهم الكتـاب والحكمة**﴾ [الجمعة: ٢].

والمدارس كالمنازل فيهـا بنات وبنون، يسترعى الاهتمام بهـم جميعا، ديننا العظيم فهو دين الذكور والإنـاث على سواء. والله تعالى يقول: ﴿**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتيـن والقانتات والصادقين والصادقات والصابريـن والصابرات والخاشعيـن والخاشعات والمتصدقيـن والمتصدقات والصائمين والصائمـات والحافظين فروجهم والحافظات والـذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾ [الأحزاب: ٣٥] . وهدى الله إليه الذين واللواتى يصرخن على غير صلاح إن الإسلام دين «رجال».

والقـرآن الكريـم يفيض بـأحكام فـى العقيدة والعبـادة والسلوك والحقـوق والواجبات والتكاليـف وأحداث التاريخ، يجد الرجال والنساء فيهـا وفى غيرها شهادة أن الله رب الناس ذكورا و إنـاثا، وهو تعالى يجزى مـن أحسن منهـم ومن أساء ﴿**إنى لاأضيع عمل عامل منكم مـن ذكر أو أنثى بعضكم من بعض**﴾ [آل عمران: ١٩٥] ويقول ﴿**من عمل صـالحا من ذكر أو أنثى وهو مـؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهـم أجرهم بأحسن ما كـانوا يعملون**﴾ [النحل: ٩٧] . فـى السنة «طلب العلم فى الإسلام فرض على كل مسلم» أخرجه النسائى وأبو داود كما قـال معلم الناس الخيـر ﷺ، وهى كلية لا تغيـب النساء عنها لاريـب وما أسعد الحياة حين يرفع صرحها المسلمون ذكورا و إناثا على قواعد من الإيمان بالله والتزام سنة مصطفاه ﷺ .

ورحم الله الإمام البخارى فقد عقد فى كتاب العلم من صحيحه بابا بين فيه أن الله تعالى أوجب العلـم قبل القول والعمل، واستظهر بقولـه تعالى: ﴿**فاعلم أنه لاإله إلاالله واستغفر لذنبك**﴾ [محمد: ١٩] .

ومن الضرورى أن يكون لتعليم الإناث المنهج الـذى يرفق بهن، ويستوعب شئـون بنات حـواء بخاصـة ليقمن بـه، دون أن يزاحمهـن الذكـور فمن نقـص شخصيتهن أن يحتجـن فى شـىء من ذلك للجنـس الآخر إلا فـى الضرورات، والضرورات تقدر بقدرها ولقد قال لطبيب كبير فى الكويت وهو من كبار الدعاة إلى الله وكـان يعمل فـى حقل أمراض النسـاء لماذا لا تفـردوا للبنات فـى كلية الطب قسمًا بشئون النساء؟ فقال متحسراً: إنهن لا يـرغبن فى تلك الدراسة لما تستوجب من شدة ويقظة وليتهن قد أبصـرن هذه الثغرة فى حياة بنات جنسهن فسددنها بتوفيـق فى البلد الطيب فى الإسلام إن مناهج تعليـم الإناث فى أكثر بلاد الأمـة الإسلامية تقـوم على أسس غيـر صالحة، وقـواعد ليست مـدروسة، والثغرات فيهـا كثيرة تنفـذ منها مكـايد الـذين يـريدون للمجتمـع المسلم أن يتصدع بنيانه ويتداعى ليخلو الجو للفساد وحده.

وكـم نأسـى لأن كثيريـن وكثيرات يقـولون: إننـا لا نعرف مـن الإسلام غيـر الشهادتين، ولو عـرفوا الشهادتين لاتبعوا رضوان الله ولآثروا مـا أحل وشرع على هوى الأنفس الأمارة بـالسوء ولعرفوا أن الرسول ﷺ ما تـرك خيرا إلا دعا الناس إليه، ولا شرا إلا حذر منـه، ونهى عنه، فهو صلوات الله عليه كمـا قال الله تعالى: ﴿**النبى أولى بالمـؤمنين من أنفسهم**﴾ [الأحزاب: ٦] ومأتى الجهـل بهدايات الدين أن هؤلاء لم يجدوا فى بكرة أعمارهـم من يصلهم بالله، ويذكرهم بهداه، ويضع قيـد أبصارهـم وأفكارهـم نهـج النبى ﷺ وسنتـه وسيرته ففيهـا الفلاح والرشد ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾ [النور: ٥٢].

إن الإسلام لايضيق ذرعا بالحضارة النظيفة والعلاقات العامة التى تدنى الأرواح من الأرواح، ولكن ينبغى أن نرهف السمع لناقوس الخطر الذى يتعالى صوته فى بعض أجواء الإعلام ووسائل الترفيه، وميادين الثقافة والمعرفة فى بلادنا، قبل أن تصدق الأوهام ويشمت الأقوام وهذا هاملين جيب يقول:

«إن الصحافة هى أقوى الأدوات تأثيرا، وأعظمها نفوذا فى العالم الإسلامى، لأن معظم مديريها من التقدميين وهى تخضع لأساليب الإغراء بشكل يكون الرأى العام ويؤثر فى اتجاهه» .

ويقول: منكرا مستبعدا «وهل يرجع الإسلام إلى طبيعته الأولى، مع أخذ العرب والمسلمين بأساليب الثقافة الغربية» ؟! .

ثم يقول: «ومن المحزن أنه رغم انتهاء الوحدة الإسلامية رسميا، فالمعاهد الدينية ماتزال قائمة، وما يزال حفاظ القرآن ودارسوه يتكاثرون، ولم يضعف سحر القرآن فى قلوب المسلمين وذلك يدعو إلى القلق» .

قلق جيب، وتحسره المرير، ونقول نحن له ولمن لف لفه ما قال شاعر النيل حافظ إبراهيم فى أحد الذين حكموا مصر، بالعسف والقهر فى الثلث الأول من القرن الميلادى السابق:

لاهم أحى ضميره ليذوقها   غصصا، وتفرى جسمه الآلام

وقد سأل أحدهم ابن عباس رضى الله عنهما، هل على من إثم إذا دعوت على من ظلمنى؟! فقال: لا، ثم قرأ قول الله تعالى: **﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون**

فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ [الشورى: ٤١، ٤٢].

إننا نحذر شبيبتنا من السم فى الدسم، من الشر الوافد باسم الثقافة والعلم، وما هى من ذلك فى شىء وفى بروتوكولات سفهاء صهيون الذين يسمونهم حكماء صهيون بغيا وعدوا «وقد خدعنا الجيل الناشىء من الأميين، وجعلناه فاسدا متعفنًا، بما علمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها».

والأميون فى كلام السفهاء هم كل من ليس يهوديا، وهم يظهرون فيما حكى الله من قولهم: **﴿ليس علينا فى الأميين سبيل﴾** [آل عمران: ٧٥] وصدق الله العظيم **﴿ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم﴾** [المائدة: ١٣].

وليت شبابنا يعرفون عدوهم وما يمكر به ويكيد، ويخطط لأمور أحلاها مر، كما يقال وهل يكد العدو خواطره لخير، أو ينفعل حيالنا بغير الكيد والشر؟! وسفاهة سفهاء صهيون مثل من أمثال أود أن يكون على علم ببعضها شبابنا وشوابنا، حتى لا يخطف أبصارهم بهرج الباطل، ولا ينطلى عليهم زخرف القول وزوره، وحتى يقرأوا ما ينفع ويمعنوا فيما يقرأون النظر، **﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾** [الأنعام: ١٠٤].

- إننا نفاجأ يوما بعد يوم بأفكار بائدة فاسدة، يعريها الحق يوما، فيؤثر دعاتها الكمون والاستخفاء، فإذا غفل دعاة الحق عاودت هذه الهلوسات الظهور فى كبريات جرائدنا ومجلاتنا وفى حراسة بعض الإعلاميين والفنانين

وأدعياء المعرفة وكم ظهرت على السطح القاديانية والبهائية والماسونية ثم لفها ثوب الخزى وكان خليقا ببعض المسئولين فى بعض أقطارنا أن يحصروا حراس الضلالات فى أقفاص الاتهام التى طالما بدا فيها شباب ورجال لمجرد الظنون، وبانفعال إثبات الوجود تارة، وحب البقاء تارة أخرى، واسترضاء من يبتغون عندهم العزة والقدرة على أن يدفعوا ما يحاذرون من مكاره .

﴿**أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**﴾ [التوبة: ١٣] .

﴿**أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا**﴾ [النساء: ١٣٩].

ومن لم تعزه التقوى فلا عز له كما قال الإمام الشافعي رضى الله عنه وطوبى للبصراء بأنفسهم وبمن حولهم وما حولهم .

●●●✻✻✻✻✻●●●



الفصـــل الثالث

مسئوليتهم ومسئوليتنا عنهم

١ ـ المسئولية شرف .

٢ ـ يعتبون على القـــدر .

٣ ـ من خارج الحـــدود .

٤ ـ نهيب بالشباب .

٥ ـ الكلمة بين الهدم والبناء .

●●●******●●●



■ المسئولية شـــــرف :

إن الإسلام يعتبر كل إنسان فتى أو فتاة شابا أو رجلا مسئولا كامل المسئولية عن تصـرفاته وأعمالـه وهو وجه مـن وجوه تكريـم الله للإنسان وفاقـدو العقول والصغـار الذيـن لـم يبلغوا الحلـم بعد هـم الـذين لا يسـألـون عما فعلـوا ولا يحاسبون علـى تصرف وإن كانت مبادرة توجيـه الصغار منذ نعومة الأظـافر من أوجب الـواجبات وأنفع الوسـائل فى أن يدرج أبناؤنـا على طريق الحيـاة إلى التكاليف راشدين واعين .

وفقهاؤنا قـد أشبعوا هذه الحقائق بيـانا وهم يقررون أن لا حـرية للصغار ولا ولاية لهـم على أنفسهم وإنمـا هى فى هـذه السن المبكرة لأم تـرضع أو لأب ينفق ويرعى وينظر فى شتى أموره ويدربه على الطاعات ويهذبه ويعلمه ويتيح له فرص الحـرف التى تلائمه ويكل إليه فـى مراحل الإعداد من التصـرفات ما يقوم به فيبدو صوابه فيسـر أو يرجو منه مزيدا بالمكافأة عليه وتقـديم الحوافز فيه أو يبدو خطؤه وتقصيـره فى ذلك فيوجهه بمـا لابد له منه مـن وسائل التصحيح والتصويـب مصطنعا فى ذلـك الحكمة حتـى لا يميت الهمة أو يطفـىء جذوة الطموح المتـوهجة فـى أعماق الشباب أو يتـأدى بهم إلـى اليأس مـن الفلاح والقنوط مـن النجاح والخذلان عـن الإحسان والقرآن الكـريم يجلو مسئـوليتنا ويوجـب علينا اعتبـار ذلك حتـى نقول ونعمـل فى ثقـة من الحسـاب العادل والجزاء الحق ثوابا وعقابا ﴿**فلا تظلم نفس شيئا**﴾ [الأنبياء : ٤٧]. ﴿**أم حسب الذيـن اجترحوا السيئـات أن نجعلهم كالـذين آمنـوا وعملوا الصالحـات سواء محياهم ومماتهـم ساء ما يحكمون**﴾ [الجاثيـة : ٢١] ﴿**والوزن يومئـذ الحق**

فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ [الأعراف : ٨، ٩] **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾** [الأنبياء : ٤٧] وصدق الله العظيم **﴿فوربك لنسألنهم أجمعين* عما كانوا يعملون﴾** [الحجر: ٩٢، ٩٣] وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع وهو مسئول عن رعيته والرجل فى أهل بيته راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها) وفى رواية (والمرأة راعية على بيت زوجها وولده) أخرجه الترمذى وابن ماجه والبخارى والله الذى جعل تكاليفه لعباده فى حدود وسعهم وطاقاتهم وما زودهم به سبحانه من قدرة وإمكان قال: **﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾** [البقرة: ٢٨٦] ويقول: **﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسرا يسرا﴾** [الطلاق: ٧] والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول: (عليكم من الأعمال ما تطيقون) ويقول (إن هذا الدين متين فأوغل عن البزار عن جابر فيه برفق إن الدين يسر) .

■ الذين يعتبون على القدر :

إن كثيرا من رجالنا وشبابنا لا يرون أنفسهم أهلا للمسئولية عن تصرفاتهم وكأن القدر الرحيم قد أمسك بأيديهم ففعلت ما لم يأذن به الله وأشلى غرائزهم الدنيا وقواهم البشرية على إتيان ما حرم الله وما بلغهم إياه مصطفاه صلوات الله وسلامه عليه وإنه لسقوط بأنفس هؤلاء عن مستوى الكرامة الإنسانية ألا

تكون مسئولة عما تفعل أهلا للمثوبة أو العقوبة فيه .

ومن عجب أن الذين ينحون بالملامـة على الأقدار بسبب ذنوبهم وخلافهم عن أمر ربهم ويتشبثـون بالحرية ودعوى الحياة فى العصـر والانخلاع من قيود التبعية للقديم وهم يضيقون بقيود الإسلام الحانية الكريمة، والمسلم معها عبد ربه وحده ليـس عبد إنسان كائن من كـان وما ينبغى أن يكون عبـد ذاته لا يرى فى الوجود سواه ولا عبد شهواته ونزواتـه وقد قال عمرو بن العاص رضى الله عنه «لا تكن عبـد غيرك وقـد خلقك الله حـرا» إن الحريـة مطلب الإنسـان السوى وثمرة الكـرامة التـى أعطاهـا الله وله الفضـل والمنة فيمـا أعطى بنـى آدم فقال تعالى: ﴿**ولقد كرمنـا بنى آدم وحملناهم فـى البر والبحر ورزقناهـم من الطيبات وفضلناهـم على كثيـر ممن خلقنـا تفضيلا**﴾ [الإسـراء: ٧٠] ولقـد قـال أميـر المؤمنين أبـو حفص لفاتح مصر بـالإسلام عمرو بن العاص: «متـى استعبدتم الناس وقد ولدتهـم أمهاتهم أحرارا» إن الحرية طلبة الحيـوان ورحم الله شوقى فهو يقول على لسان الحيـوان :

فلست أرضى قفصـــــا وإن يكن من ذهــــــب

لكـن الحريـة فى غيـر منـاخ الإسلام لا تعـدو أن تكـون انتكاسـة للكرامـة الإنسانية وردة إلى ما لا يجمُلُ بالإنسـان من إعلاء هواه على هدى الله وتحقيق مناه ما لم يكن مما أباح الله الذى أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث وخلق لنا ما فى الأرض جميعا قال تعالى: ﴿**يا بنى آدم خذوا زينتكـم عند كل مسجد وكلوا واشـربوا ولا تسرفـوا إنه لا يحب المسـرفين * قـل من حرم زينـة الله التى**

أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

إن الحرية لاينبغي أن تعدو الشرف ولا الترفع عن المعايب ولا صيانة الأعراض والحرية فى الإسلام شيء ذو بالٍ.

والحياة فى العصر لا يرفضها الإسلام دين كل زمان ومكان إذا نحن ملأنا بنوره الأعين والقلوب وعرضنا ما نواجه فى كل عصر على ما عندنا فى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فما وافقهما قبلناه، وما خالفهما رفضناه ، ولا كرامة.

أجلَّ ليس قدم القديم مما يوجب العزوف عنه والانبهار بزيف الجديد فإذا كان هذا القديم وحيا إلهيا أو عرفا لا يتعارض وهدايات الله لعباده كان أوجب التزاما وكيف ترتوى شجرة الإيمان فى أعماقنا ونؤدى عباداتنا ونقيم سلوكنا على السبيل الأهدى إن نحن أدرنا ظهورنا ـ لا قدر الله ـ للقرآن الكريم والسنة المطهرة وسيرة الرعيل الأوَّل والذين اتبعوهم بإحسان عبر الأزمان، وفيما ذكر الله قصص الأنبياء وأقوامهم، وما آل إليه أمر من آمن ومن كفر، فى كتابه تعالى قال عزوجل **﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾** [هود: ١٢٠] وقال **﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾** [آل عمران: ١٣٧].

وهذا رجل من خارج الحدود يقول إن من أكبر أسباب الانهيار قطع الصلة بالماضى ويعلق على هذا المفكر الإسلامى المغربى المهدى بن عبود فيقول فى إحدى محاضراته: «إن قطع الصلة بالماضى نوع من اليُتم الفكرى، وهو

انسياق الإنسان إلى الشعور بأنه تائه، إلى حد أنهم قالوا إنسان اليوم غامض الفكر، كثير المعارف». إن المذاهب التى تجافى الإسلام تتبرج للشباب وتخفى وراء مظاهرها الكاذبة حاضرا حاقدا وماضيا موغلا فى الكيد للإسلام بخاصة ومحاولة الحيلولة دون تجمع أهله.

ويقول مهدى : إن الغاية من وجود هذه المبادىء وهذه المذاهب هى انفصال هذه الجمعيات المستبدة المنتمية إلى الماضى ولأجل هذه الغاية يقاتل أصحاب تلك المذاهب فى الصفوف الأولى لأنها هى المنظمة الوحيدة التى تناهض الأديان والقوميات والتقاليد .

والإسلام ينكر جهرا وبوضوح التقاليد الآثمة وكل ما يخالف الوحدة الإسلامية وهو يضع ميزان ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات: ١٣] قيد أنظارنا وذلك يوجب أن يبقى الماضى مذكورا وأن يبقى سلوك الأولين مأثورا بل نذكر الماضى بخيره وشره ﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة**﴾ [الأنفال: ٤٢].

قال تعالى: ﴿**قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ**﴾ [الأنعام: ١٠٤] ورحم الله الشيخ محمد رشيد رضا فلقد ذكر فى الجزء الأول من تفسير المنار كلاما مفيدا عن التاريخ وضرورة الإلمام به وقال «كان سلفنا رضى الله عنهم يضبطون أحوال من قبلهم من أمور الدين والدنيا بكل اعتناء ودقة» .

وبعد فإن الحياة فى العصر والحرية التى هى من طبائع الأسوياء يحكمها

فـى المجتمع الإسـلامى ديـن هـذا المجتمع وتـاريخـه والديـن كتاب وسنـة والتاريخ مسجل أعمال وفعال وتصرفات فلنـأخذ أحسنه ولندع باطله والهدى من قبل ومن بعد هدى الله .

■ نهيب بالشـــباب :

إن كثيرين من فتياننـا وفتياتنا يعرفون من تاريخ نـابيلون، وبسمارك أكثر مما يعرفون من تاريخ خالد بن الوليد، وسعد بن أبى وقاص وأولاد نسيبة بنت كعب الأنصارية والخنسـاء وأولادها فى معركة القـادسية، وإذا كانت المعـرفة بعيدة الجوانـب متعددة المنـاحى وكـانت سيـر الأولين فـى شرق وغـرب مما يشـد الأفكار ويثير الانتباه ويدعو إلى الإعجاب فـإن فى تاريخ رجال الإسلام ونسائه كذلـك ما يجب الحرص علـى دراسته وأخذ عبره وعظـاته والسير على منـواله ليمضى الأحفـاد فى الطريق الـذى مهده لهم الأجـداد، طريق الإسلام، طـريق الأمن الحق والسلام الوطيد، ومن سار على الدرب وصل كما قالوا، وصدق الله العظيم ﴿**فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ [البقرة: ٣٨] .

وقال: ﴿**فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى**﴾ [طه: ١٢٣] .

وهدى الله تعالى هـو كتابه وسنة رسوله ﷺ، وهدى الله عز وجـل، ترتبط فيه السنة بـالكتاب والسنة شـارحة موضحة مفصلـة للكتاب الكريـم وهيهات أن يُفِيد من القرآن إلا من عرفوا السنة، ونظروا فيها وهم ينظرون فى كتاب الله تعالى إلى قوله ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ [الحشر: ٧] .

ورحم الله الإمام الشافعى فهو يقول كـل ما قاله رسول الله ﷺ شرح للقرآن ،

وعمل الصحابة رضوان الله عليهم بيان للسنة .

فإذا أهبنا بالشباب ليعرفوا صحابة رسول الله فلأن هؤلاء هم النماذج التى بقيت معالم دالة على الخير من الأناسى بعد قول الله، وقول رسول الله ﷺ، ونسيبة بنت كعب الأنصارية كانت تنتضى سيفها فى أحد حين انكشف المسلمون وتناولتهم سيوف الأعداء من كل جانب وانفرد رسول الله ﷺ فلم يبق من حوله غير عشرة من أصحابه أو نحوهم يذودون عنه ﷺ، وتصول نسيبة ـ ويامن يسمع من رجالنا ونسائنا وأبنائنا ـ وتجول من حول رسول الله فتضرب يمينا وشمالا ويرى الصفوة الكرام من الصحابة بلاءها العظيم ومضاءها الفذ حتى قال سيدنا رسول الله ﷺ ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دونى ويا لها من شهادة ويا لها من كلمات، وترى الدم يسيل من عضد ابنها فتسارع إليه وتعصب جرحه والرسول ينظر ثم تقول: انهض يابنى فضارب القوم، وراح صلوات الله وسلامه عليه يقول ومن يطيق ما تطيقين يا نسيبة؟! قالت: وأقبل الرجل الذى ضرب ابنى فقال رسول الله : هذا ضارب إبنك يا أم عماره فأثخنت بسيفها جراحاً غائرة فى الرجل والواقعة بارزة ملتمعة فى سيرتها فى كتب السيرة والرواة فليت الآباء والأمهات يراجعنها لتكون نوراً على طريقهن فى الحياة وإلى رضوان الله يوم نلقاه .

وفى هذه الأيام يضوع عبق عطر أذكره رجاء أن تتصل الفروع الصاعدة بالأصول الماجدة فيقول ملك لولى[1] عهده أما أنت يابنى فاحمد الله الذى شرح للإيمان صدرك ورفع بالأخلاق قدرك ونشر بالتضحية وفى الخافقين ذكرك وإياك أن تحيد عن طريق الإسلام القويم أو تتبع غير سبيل المؤمنين فإنه

لا عدة فـي الشدائد كالإيمـان ولا حلية فى المحافـل كالتقوى واعـرف الله فى الرخـاء يعرفك فـي الشدة وتقرب منـه بالأعمال الصـالحة ذراعا يتقـرب منك بتوفيقك باعا، واجعل القرآن المصباح الذى تستضىء به إذا ادلهمت الدياجى واشتبهـت عليك السبـل، وليكن لـك فى رسـول الله وصالحـى الخلفاء أسـوة حسنة ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾ [الأنعام: ٩٠] .

ربنا افتح بصائر النشء الجديد وأبصارهـم على النماذج الخيرة فى أمهاتنا وآبائنـا ورجالنـا وعلى الشبـاب الذين افتـدوا الديـن العظيم بـالمهج والأرواح صادقين .

■ **الكلمة بين الهدم والبنـــاء :**

إن الكلمة التى تنفذ من منافذ الإدراك إلـى قلوبنا تعمل عملها رشادا أو غيا مقروءة كانت أو مسموعة ويفعل مثل ذلـك ما تراه العيون وتلحظه الأبصار ومن أجل هذا قال الله تعالى ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾ [الإسراء: ٣٦] ويوم أنصف ساعـة من نهار عتبة بن ربيعة حيـن سمع من القرآن مـا سمع وقال كلمة الحـق «والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول بشر».

كان إلى جواره عبر تاريخ الدعـوة فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام أقوام كأكثم ابن صيفى فلقـد كان الرجل قد تأخر إسلامـه وأراد أن يعلن ذلك وحال قومه بينـه وبين إسلامه، واشترط عليهـم أن يرسل رجلين من خيـارهم يسمعان من كلام محمد ما هو من القرآن الكريم وعاد الرجلان يقرآن على أكثم قول الله

تبارك وتعالى ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون**﴾ [النحل: ٩٠] قال أكثم لقومه (يا قوم أطيعونى واتبعوا ذلك الرجل وكونوا باتباعه رؤوسا قبل أن تكونوا أذنابا فوالله الذى لا إله إلا هو لو لم يكن هذ الذى سمعته من القرآن الذى أوحى إلى محمد لو لم يكن دينا لكان فى أخلاق الرجال حسنا) .

يوم تكون الكلمة منتقاة خيرة فنقرأها أو نسمعها تؤهلنا لا محالة إلى فيض غدق من هدى الله تبارك وتعالى أمرا كانت أو نهيا أو ذكرى تنفع وصدق الله العظيم ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾ [الذاريات: ٥٥].

ومن البر بالجيل الجديد أن تتضافر جهود الثقات ليكون الكتاب فى أيديهم مصدر إشعاع وينبوع هدى وانتفاع وهو بهذه المثابة يمكن أن نحمله غادين ورائحين وأن يكون فى متناولنا مصبحين وممسين فنجد فيه الدنيا ونجد فيه الأزل والأبد ونجد فيه أبناء من بر ومن فجر ومن آمن ومن كفر ونرى فيه هبات الله لمن أطاعه واتبع هداه ونرى فيه المَثُلات التى حاقت بالعصاة عبر التاريخ .

إن الكتاب حين نؤلفه أو نصنفه وحين يؤلفه كذلك أو يصنفه من يتقى الله تبارك وتعالى يرسى فى أعماقنا العقيدة الحقة ويكشف لنا مناهج العبادة الصحيحة ويقدم لنا السلوك الراشد من حياة رسول الله ﷺ وسيرته وسيرة الذين تخرجوا فى مدرسة القرآن والسنة المطهرة، والذين نسجوا وينسجون على منوالهم .

ولقد نعى القرآن الكـريم على الذين يكتبون بالهـوى والرأى الذى لا يسنده أصل ربانـى ولا تشده إلى الصواب بينـة ولا برهان فقال تعـالى ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهـم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا بـه ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهـم وويل لهم مما يكسبون**﴾ [البقرة: ٧٩] ومـا أقسم الله بـالقلم ومـا يسطـرون إلا تنويهـا بهـذه الآلة التـى يمكـن أن تكون أداة نسـف وتخريب كما يمكـن أن تكون شعاعا يمضى المتقون فى نـوره إلى الصالحات ولقد باهى فرشد ولى الدين يكن المصرى حين قال:

كتابى سر فى الأرض واملأ فجاجها وخل عباد الله يتلـــون ما تتلـــو

فما بك من أكـــذوبة فأخافهـــــا ولا بك من جهل فُيزرى بك الجهل

وحين يخلـو الجو مـن الكتاب النافـع تتاح الفرص لغيـره من الكتـب التى لاخير فيها.

وفى مخطوط «تحفة الزمن» الذى وجدته بين غرائر مخطوطات على سطح مسجد أروى بنـت أحمد الصليحية فى أحـد أيام ديسمبر ١٩٦٢م فـى صنعاء اليمن قـال الأهدل ومـن شعر الحسـن بن محمـد بن عقـامة فـى فقهاء زُبيـد وعلمائها :

إذا لـــم تُســـد فـــى ليـــالــــى الشبـــاب

فـــلا ســدت مـــا عشـــت مـــن بعــدهـــن

إذا مـــــا تحطـــــم صـــــدر القنـــــاة

فـــــلا تـــــرجُـــــونَ مـــــن الـــــزج طعنِـــــه

وهـــــل جـــــل عمـــــركَ إلا الشبـــــاب

فخـــــذ منـــــه حظـــــا ولا تهـــــدرنِـــــه

فـــــلا وأبـــــى مـــــا أضعـــــت الشبـــــاب

فحـــــرمتـــــه تحـــــت ظـــــل الأسنـــــة

ولكـــــن سعيـــــتُ لكســـــب العلـــــوم

كسعـــــى أبـــــى قبـــــلُ فـــــى كسبهـــــن

وهى أبيات تحفز على طلب العلم من بكرة الصبا، تأثراً بقول من قال:

إذا فاتنى يومًا ولم أصطنع يداً ولم أستفد علمًا فما ذاك من عمرى

وابن عباس رضى الله عنهما، والإمام البخـارى، والإمام الشافعى، وعشرات من أعـلام الهدى وأئمة العلم شغفهـم العلم منذ نعـومة أظفارهم، وفـى شتى ظروف حيـاتهم سعـة وضيقاً وحصـة وسقماً، وعلى كـل حال حتـى تركـوا من مواريث العلم ما لا يقادرُ قدره رضى الله عنهم .

و إن من المخاطر التى يجب أن نقى الشبـاب العزيز منها تلك الكتب التى قد كتبت بغير الأسلوب الذى تفهمه الناشئة العزيزة والتى لا توائم مداركهم ولا تجيب على ما يخـامرهم من تساؤلات ولا ما يقذفهم بـه الأعداء من شُبَهٍ ودس رخيص وافتـراء صارخ على الإسـلام قرآنا وسنة وحيـاة رجال. إن الصالـح من

هذه الكتب الإسلامية وغيرها يحقق أمل الناشئة فى المعرفة الهادفة والثقافة الهادية والعلم النافع وقد يعكس المراد منها فيورثهم العزوف عما حوته والضيق بالحق فيه والانصراف عنه إلى غيره من الكتب التى تخطف الأبصار بجمال الشكل وجودة الطبع ولطف الورق وحسن الإخراج وما يغلف ذلك كله من تلك الأغلفة ذات الألوان والمغريات المشروعة وغير المشروعة وقد يكون الناشئة فى مرحلة من العمر أو على مستوى من المعرفة لايؤهلهم للوقاية من هذه الكتب ولقد عظمت نعمة الله على المؤمنين وجلت منته أنه يسر القرآن للذكر وأنزله بلسان عربى مبين، وجاءت الأحاديث النبوية نسقا رفيعا يأخذ من جلال القرآن وجمال كونه مع ذلك على النحو الذى يمكن تدبره وأخذ مغازيه بالقدر الذى تصلح به الحياة ﴿**وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين**﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤] قال تعالى ﴿**كتاب أنزلناه إليك مباركا ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**﴾ [صٓ: ٢٩] ومن مأثوراتنا الإسلامية «خاطبوا الناس على قدر عقولهم» ومنها حدثوا الناس بما يعرفون «أتحبون أن يكذب الله ورسوله» رواه البخارى عن على مرفوعا ـ كشف الخفا .

إن القرآن الكريم يضع المنهاج للمؤلفين والكتاب فهو أوامر وعظات وقصص وأمثال وتاريخ وأحكام و إيجاب للإيمان واتباع لرسوله صلوات الله وسلامه عليه فيما بلغ عن مولاه تبارك وتعالى قال عز من قائل ﴿**وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**﴾ [هود: ١٢٠] وقال عز وجل ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**﴾ [يوسف: ٣].

فعلى الكتّاب والمؤلفين أن يستلهموا القرآن الكريم فيما يكتبون ويؤلفون جهد استطاعتهم عرضا وأداء وخير الأمور أوساطها [1] وصدق الله العظيم ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما**﴾ [الإسراء: ٩، ١٠] وهم باستهدائهم فيما يكتبون وما يقولون امتداد صالح لعلماء أشاد بهم القرآن وقرن شهادتهم بوحدانية الله بشهادته تبارك وتعالى وملائكته وذلك فى قوله تعالى ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾ [آل عمران: ١٨].

ولقد أبقى العلم النافع ذكرى أصحابه وإن لفّهم الثرى وغيبتهم الأجداث وصنعت لهم آثارهم المتجددة وأنوارهم العلمية المتوقدة أعمارا بعد انتهاء أعمارهم ومن منا لا يذكر علماء التفسير وعلماء الحديث وعلماء السير وعلماء اللغة وعلماء الأدب ويذكر أن صحيحى الإمامين الجليلين أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى وأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى هما أصح كتابين بعد كتاب الله وأن كتبا كثيرة قد منح الله بها أصحابها حسن الأحدوثة ولسان الصدق فى الآخرين بقدر ما باء أقوام بغضب الله بما كتبوا وألفوا وخانوا أمانة القلم وأمانة الكلمة وموارث الآباء والأبناء عن الحق والصواب فمتى نكتب ما يكون دستورا ونورا وبين أيدينا الدستور الأكبر والنور المسفر ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وأذكر الأمير شكيب أرسلان صاحب كتاب «حاضر العالم الإسلامى» فهو

ينزل الكتاب منزلة الأبناء من نفسه ويقول:

يقولون أن المرء يحيا بنســــله وليس له ذكراً إذا لم يكون نسلُ

فقلت لهم: نسلى بدائع حكمتى فإن لم يكن نسلُ فإنا بها نسلو

■■■●●●*****●●●■■■



الفصـــل الرابع

الشـباب فى رسالات المرسليـن

١ ـ خذوا من التاريخ عبرة .

٢ ـ الذرية من هبات الله .

٣ ـ مع الخليل إبراهيم وبنيه .

٤ ـ شباب آمنوا بكليم الله موسى .

٥ ـ من ضراعات زكريا عليه السلام .

٦ ـ خذوا العفة كلها من يوسف عليه السلام .

٧ ـ استجلوا فى القرآن مصارع الطغـــاة .



■ خذوا من التاريخ عِبَــرة :

إن وصل النـاشئةالعـزيزة بـأسلافهم الأبـرار ضرورى فـى تعميق عقيـدتهم و إنمـاء شخصيتهم وتـوفير نمـاذج القدوة بيـن أيديهـم، والتاريـخ خير ملهـم وأصدق معلم، والقـرآن الكريم والسنة المطهرة يعـرضان من ذلك فيضـا غدقا ويعطيانه بأنـدى عبارة وأهدى أسلوب ﴿**لئلا يكون للناس علـى الله حجة بعد الرسل**﴾ [النساء: ١٦٥] .

والتاريخ قـد أولى الشباب اهتمامه وهـو يروى أنباء من أحســن ومن أساء، ومن آمن ومــن كفر ومن بر ومــن غدر وهو بهذا يقـول للشباب خذوا بأحســن ما أخذوا وحذار من تقليد من سفه نفسه واتبـع هواه فإن التقليد مهلكة ما لم يكن عن بينة واقتناع، والتاريخ يذكر مــن مختلف العصور نماذج من الشباب الذين أسهموا فى دعـوة الخير وخر غيرهـم إلى الأذقان فى غفـلات وشهوات ليحذر الشباب ما يحـذر، ويؤثر ما يضــن به ويؤثر، ومـا ينبغى أن نقرأ التاريـخ لإزجاء الفراغ ومجرد التسلية وتضييع الـوقت فى غير طائل فإن الذين يـزجون بالتاريخ وغيره الفـراغ دون أن يفيدوا منـه حكمة ويستخلصوا عبـرة يقتلون أنفسهـم من حيث لايشعـرون فهم يرون حيـاتهم تنقضى وعمرهـم ينتهى دون أن يتركـوا أثرا يذكر أو يخلفوا فى الناس من كريم الفعال أيسر شىء، والذين يقرأون القصص فى العربيـة وغيرها من اللغـات مدعوون أن يقرأوا التـاريخ للاعتبار فهـو مع ما يسبقه ويواكبـه من فهم الإسلام والتزام أوامره وتـوقى نواهيه يدفـع الشباب إلى غير حد فى طريق صياغة الإنسان السوى، الإنسان المسلم الذى يؤلف وأمثاله المجتمع الأمثل بالتكافل والتواصل البرىء من العلل التى تفدح المجتمعات

الأخرى فـى شرق وغـرب ولاتجعل للاستقـرار مكانـا ورحم الله الشيـخ محمد رشيد رضا فهو يقول: علمنا الله هذا الاهتمـام بالتاريخ والاعتبار بمثلات الأولين بما قـص علينا مـن أخبار الأمـم وأنعم علـى أمتنا التـى لا تختص بشعـب ولا جنس[1] بهذا القرآن الكريم فكان به نعـم لاتحصى تعرف من الكتاب والسنة منها أنهم كـانوا أعداء فألف بين قلـوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانـا، ومنها أنهم كـانـوا مستضعفين فمكـن لهـم فـى الأرض وأورثهـم أرض الشعوب القـويـة وديارهـم وجعل لهم السلطـان عليهم، ومنها: أنه جعلهـم أمة وسطا لا تفـريط عندها ولا إفراط ليكونـوا شهداء على الناس الذين غلوا وأفرطـوا والذين قصروا وفرطوا ثم لما كفرت بأنعم الله أنزل بها ألوانا من البلاء والنقم بعنوان الأمة .

ونثب فى التـاريخ وثبة كبرى فنبلغ عهـد الإسلام ونرى النبى ﷺ يـدعو إلى الله ومن حولـه الشباب والرجال والفتيـات والأمهات فى الدور ومجـامع الخير يعلمن ما تعلمنه من أمهات المؤمنيـن اللواتى يقول الله عزوجل لهن **﴿واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾** [الأحزاب: ٣٤] .

وتتفتـح الأسماع، أسمـاع هـؤلاء الأسلاف علـى ذلـك وهـم وهن يبصّـرن الناشئة بالإسلام قـولا وعملا فعرفنا على بن أبى طالب وزيد بـن حارثة وأسامة ابن زيد وعميـر ابن أبى وقاص ومصعب بـن عمير ورافع بن خديـج وسمرة بن جندب وعبد الله بـن عمر ابن الخطاب وعبـد الله بن عمرو بن العـاص وعبد الله ابن مسعود وأنس بـن مالك خويدم رسول الله ﷺ وأبناء أبى بكـر فتيانا وفتيات

(١) يشير بهذا إلى « عـالمية الإسلام» دين «سلمان منا آل البيت» و«بـلال جلده ما بين أنفى وعينـى» .

فى الهجرة وغيرها، وعبد الله بن الزبير أشبه الناس بجده وأخواله آل أبى بكر رضوان الله عليهم، وعبد الله بن العباس ومن لانحصى أسماءهم هنا من شباب الإسلام ههنا، و إنما نذكرهم ونذكر بمن وراءهم من الشباب فى عصور وراء عصور فلو ذهبنا نذكر مثل سبق على إلى الإسلام و إيثار زيد بن حارثة رسول الله على أن يرجع عنه إلى مضارب قومه مع أبيه وعمه وأخيه واستشهاد عمير بن أبى وقاص فى بدر وما تحملت أسماء ذات النطاقين وأخوها وعمالهم حتى نجا المهاجر الأعظم وأبو بكر من كيد الكائدين و إرصاد قريش للرسول وصاحبه .

ولو وقفنا مع كل واحد من هؤلاء لحظة لامتلأت صحائف الوقت قبل أن ينفد عطاء هؤلاء من جدهم فى حماية الإسلام وافتدائه فى معاركه، وخدمة مصدريه القرآن والسنة، وضرب أرفع أمثال صدق الإيمان فى الفتيات والفتيان وليس عجيبا أن تكون أسماء أم عبد الله بن الزبير وذكاؤه فى طفولته وموقفه من أمير المؤمنين عمر مضرب المثل[1]، وأسماء فى أخريات أيامها تضغط على عاطفة الأمومة الجياشة بين حناياها فتدفع ابنها الى مواصلة الجهاد وهل ننسى من التاريخ نسيبة بنت كعب والخنساء اللتين ألمحت إليهما من قريب .

إن عمير بن أبى وقاص كان أحد شهداء غزوة بدر أول لقاء بين الإسلام وقريش. يقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه رأيت أخى عمير يتوارى عن الناس فقلت مالك. يا أخى قال أخشى أن يرانى رسول الله ﷺ فيستصغرنى فيردنى وأنا أحب الخروج لعلى أرزق الشهادة فلما رآه رسول الله ﷺ استصغره

(١) فى شجاعته الأدبية .

فرده فبكى وتوسل إلى رسول الله ﷺ فأجازه، ويردف سعد فيقول فكنت أعقد له حمائل سيفه لصغر سنه فقاتل وقتل وسنه يومئذ ست عشرة سنة، وعاد المسلمون بالنصر من بدر، ومثل عمير مذكور مأثور يغرى الشباب لمحاولة إن لم تتم لهم فى بدر فعسى أن يدركوها فى مواقف الإسلام الأخرى .

والرسول ﷺ يرى رافع بن خديج صغيرا ويقبله مع صغره فى أُحد بعد أن رده فى بدر لأنه يجيد الرمى. فلما خرج فى أحد أصيب بسهم فقال له ﷺ يارافع إنى أشهد لك بها عند الله يوم القيامة وعاش رافع وشهد المشاهد كلها ثم انتقضت جراحه فمات فى عهد عبد الملك بن مروان قبل ابن عمر بقليل .

وفى الاستيعاب لابن عبد البر أن أوس الأنصارى شهد أحدا هو وأبناه كنانة وعبد الله ولم يحضره عوانة بن أوس مع أبيه وأخويه لأنه استصغره رسول الله ﷺ فرده يومئذ فأين الأبناء وأين الآباء أيها الشباب، اقرأو التاريخ فإن فيه لأوائلكم ذكرى والله الحفيظ عليكم .

وما يفوت الشباب علو نفس عبد الله بن الزبير، وشجاعته الأدبية، فلقد كان رضى الله عنه صبيا يلعب بين الصبيان فى إحدى سكك المدينة، ومر بهم أمير المؤمنين عمر فهابه الأطفال، وتفرقوا فى بعض منحيات الطريق، إلا ابن الزبير، فإنه لم يبرح مكانه، وسأله عمر لـمَ لم تمض مع من مضوا؟ فقال: ولماذا أمضى وليست الطريق ضيقة فأوسعها لك، ولا أنا بالمذنب فأهابك فجلّ فى عين أمير المؤمنين رضى الله عنهم، إنه عبد الله بن الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله ﷺ وهو ابن أسماء بنت أبى بكر الصديق وإنه لنسب زاده الإسلام فخر ومجادة .

■ الذرية من هبات الله :

إن الذرية من هبات الله وعطاياه سبحانه قال تعالى: ﴿**يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير**﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] والعلماء يقولون إن هذا هو عموم الأنواع فالزوجان يهبهما الله عز وجل الإناث دون الذكور، أو يهبهما الذكور دون الإناث، أو يهبهما من هؤلاء وأولئك ولم يبق إلا أن تقوم الحياة الزوجية ثم تقتضى حكمة الحكيم الرحيم ألا يكون للزوجين مما سلف من هذه الأقسام شيء والخير دائما فى صنيع الله العليم الحكيم الرءوف الرحيم ولحكمة كبرى كان عطاء الله لمصطفاه ﷺ البنات قبل البنين وأن ينسأ الله عز وجل فى أعمارهن فيتزوجن ويرين النبى ﷺ أكرم الآباء ويرينه ناهضا بتكاليف الرسالة وتصيبهن من لأوائها ما يصيبهن كما أصبن من نعمائها فلقد امتن الله عز وجل بهؤلاء البنات اللواتى آمنّ بالله واحدا معبودا دون سواه من خلقه ومخلوقاته وصدقن بالرسالة الخاتمة وتعرضت زينب بنت رسول الله كما تعرضت فاطمة لشتائم المشركين وأحقادهم فى غير موقف قبل الهجرة فى مكة وحين أرادت زينب أن تهاجر إلى المدينة وإن أنسى فلن أنسى فاطمة رضى الله عنها وقد أتت الكعبة صغيرة فرأت أن قريشا قد صنعت بالنبى عليه الصلاة والسلام ما كان ينبغى أن يصان عنه الرسول، ويصان عنه كذلك بيت الله تبارك وتعالى إذ ألقت سلا جزور على ظهر رسول الله وهو فى سجوده ونحت فاطمة هذا الأذى عن أبيها ﷺ وهى تبكى حتى قال لها صلوات الله وسلامه عليه لاتخافى على أبيك همّا ولا حزنا وأكد لها أن الله ناصر نبيه فقرت بذلك عينها وطابت نفسها .

والله تعالى يقول ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ [الكهف: ٤٦] ولكنه تبارك وتعالى يخبر أن الباقيات الصالحات خير عند الله ويؤكد هذه الحقيقة علما منه سبحانه بما استقر فى أعماق الناس من حب الشهوات قال تعالى ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد**﴾ [آل عمران: ١٤ ، ١٥] وكانت عائشة رضوان الله تعالى عليها إذا قرأت هذه الآية قالت: (ياويلنا حيث بدأ الله بنا)!

أجل قدم الله سبحانه النساء وثنَّى بالبنين لأن النساء أصل فى وجود الأبناء بما أعدهن الله له من تزاوج مع الرجال ولهذا كانت منة الله تعالى بقوله ﴿**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة**﴾ [النحل: ٧٢] وهو سبحانه ينوه بأولى الألباب الذين وصفهم بطائفة من كريم الصفات فى سورة الرعد حتى قال تعالى ﴿**والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار * جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**﴾ [الرعد: ٢٢ ــ ٢٤] ويؤكد الله لمصطفاه أنه على سنن الأنبياء والمرسلين وفطرة الله فى الأولين والآخرين فيقول تعالى ﴿**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية**﴾ [الرعد: ٣٨] .

والله تعالى يرسـل هودا إلى قومه عاد ليـدعوهم ككل نبى ورسول جـاء قومه من لدن ربه (أن اعبدوا ربكم ما لكم من إله غيره) ولقد زجرهم عما هم فيه من ظن الخلود وهم يبنون المصانع ويبطشـون بغيرهم حتى قال تعالى **﴿فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذي أمدكم بما تعلمـون * أمدكم بأنعام وبنين﴾** [الشعراء: ١٣١ ــ ١٣٣] ولقد جعـل الله لخليله إبـراهيم مـن سارة إسحـاق وأعطاه منـه يعقوب نافلـة وجعل فى ذريته النبـوة والكتاب كما قال تعـالى **﴿فآمن له لوط وقال إنى مهـاجر إلى ربى إنه هـو العزيز الحكيم * ووهبنا لـه إسحاق ويعقوب وجعلنا فـى ذريته النبوة والكتـاب وآتيناه أجره فـى الدنيـا وإنه فى الآخـرة لمن الصالحين﴾** [العنكبوت: ٢٦، ٢٧] وقال **﴿ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾** [الصـافات: ١١٨] إن النبـى ﷺ لم يمتعـه الله بـأولاده الذكـور الذيـن استأثرت بهم رحمته تبـارك وتعالى صغارا ومات إبراهيم وبقى لـه بناته الأربع ولهذا أخـذن بحظهن مـن توحيـد الله تبارك وتعـالى وبحظهـن من تـوجيه الله لمصطفاه فى أمـرهن ونهيهن قال تعـالى **﴿يا أيها النبى قـل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يـدنين عليهن من جلابيبهـن ذلك أدنى أن يعرفن فـلا يؤذين﴾** [الأحزاب: ٥٩] ونداء الله لمصطفاه أينعت ثماره قبـل الوحى ومازال الخطاب متجها إلـى الذيـن آمنوا بالله ورسـوله وهـذه الكرنفالات التـى تبدو فـى بعض المجتمعات النسـائية فتجعل البيـوت والشوارع والنوادى ودور الأعمـال أشبه شىء بحظائر الطـواويس إنما هى أثـر غفلة عن أقوال الله لمصطفـاه وعما أداه الرسول لقـومه وصحبه وكان النساء أسـرع شيىء إلى الاستجابـة لأمر رسول الله صلوات الله وسـلامه عليـه وفى مـراحل التعليـم اليوم فتيـات يؤثـرن الحجاب

ويبغضن التبرج بالقدر الذى تفتن به بعض أخواتهن ويفعلن ما يفعلن عن فهم للإسلام والتزام لتوجيهاته للأنثى صونا لأنفسهن أن يكن غرضا لطامع أو فريسة للذئاب الذين يتحرشون بهن فى مناسبة وغير مناسبة فلا يجدون من الفتيات المؤمنات إلا صدودا وإعراضا وكأنهن القلاع المنيعة والحصون التى تتهاوى دونها همم الفارغين رقاق الدين والعياذ بالله وهاتيك الفتيات الكريمات على الله وعلى أنفسهن لا تزيدهن سخرية الساخرين وتندر المتندرين إلا إصرارا على التصون وإيثارا لطاعة الله ورسوله ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾ [الأعراف: ٢٦] ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**﴾ [النور: ٣١] ولا تنتهى سورة النور التى وضعت ذلك الدستور للبيوت حتى تفدحها عواقب الاختلاط بالكوارث التى طالما فرقت شملا وحطمت أسرا والمفرط أولى بالخسارة، لا ينتهى ذلك حتى يقول تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم**﴾ [النور: ٥٨] وقال سبحانه ﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم**﴾ [النور: ٥٩] إن هؤلاء الأطفال حين يؤخذون بمثل هذا

الأدب فى البيوت سوف لايفارقهم الحياء وبخاصة إذا نحن روّينا هذه الغراس بموصول التأديب والتهذيب مـن كتاب الله ومن سنة مصطفاه صلوات الله عليه ورحم الله من نصح فقال:

«أقرئوا نساءكم سورة النور، وأقرئوا رجالكم سورة الأنفال».

ففى الأنفـال ما فيها مـن مشاهد الجهـاد، فى بدر بخـاصة وفيها أسـاليب الإعداد والتدريـب ووسائل النصر ﴿**يا أيها الـذين آمنوا إذا لقيتم فئـة فاثبتوا**﴾ الآيات ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا**﴾ [٤٥، ٤٦].

وفى سورة النور آداب تجمـل بالمسلمة، وتزيد فى ضرورة إكبارهـا وتوقيرها من احتشـام والتزام فـى البيت والمجتمـع ومرة أخرى فـاقرأن سـورة النور ــ يا شقائق الرجال ـ ولنقرأ مع الشباب العزيز سورة الأنفال .

■ مع الخليل إبراهيم وبنيــه :

إن الأمة المسلمة التى صنعها الله بمصطفـاه صلوات الله عليه وجعلها خير أمة أخرجت للناس، هى دعوة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام، والقرآن الكريم يقص من ذلك إلى الأبـد قول الله تعالى ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القـواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنـت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنـا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهـم رسولا منهم يتلو عليهـم آياتك ويعلمهم الكتـاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيـز الحكيم**﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩] . والبنون والحفدة وذرارينا إلى آخر الزمان كانوا مطمح أنظار المرسلين وموضع اعتبار البشرية منذ

أبينا آدم عليه السلام .

والقرآن والسنة يحفظان من أخبار ذلك مـا ينبغي أن نعتبره ونتمثله وننتفع به في محاولة إقامة ناشئتنا على طـريق الخير والسداد، وفي قصة ابني آدم وموقف ابن نوح عليهمـا السلام نداء جهير أن هذه البيـوت الراشدة قد تطـرق إليها من الشر ما ينبغـي أن نحذر مثله ونحن نأخذ شبيبتنـا منذ نعومة أظفارهـم بالإيمان بالله وآثـاره في السلوك والتصـرفات وأن الأبـوة لاتجدي على الأبنـاء شيئا وإن كانت أبوة النبوة حتى يسرع الأبناء إلى صالح العمل وجميل السلوك .

وهذا إبراهيم خليل الـرحمن يقول الله فيه ﴿**وإذ ابتلى إبراهيـم ربه بكلمات فأتمهـن قال إنـي جاعلـك للناس إمـاما قـال ومن ذريتـي قال لاينـال عهدي الظالمين**﴾ [البقرة : ١٢٤].

تلك سنـة الله في خلقـه ولن تجد لسنـة الله تبديلا فعلـى الآباء والـولاة في المجتمعات الراشـدة أن يتعاهدوا الأبناء والجيـل الصاعد بالإيمـان بالله جهد استطاعتهم فبذلـك يسعدون بهم في عاجل وآجل، ويطالعنـا كتاب الله تعالى بمزيد مـن اهتمام إبراهيم عليه السلام ببنيـه في عرض نود أن نتأملـه وأن نأخذ عبرته وأن تبقى فينا عظته قال الله تعالى ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبنـي أن نعبد الأصنام**﴾ [إبراهيم: ٣٥] ويؤكد إبراهيـم أثر الفطرة السليمة فيقول ﴿**رب إنهن أضللـن كثيرا من الناس فمـن تبعني فإنه منـي ومن عصاني فإنك غفور رحيم**﴾ [إبراهيم: ٣٦].

ويوم أراد نوح عليه السـلام أن يكون ابنه من الناجين من الطـوفان وهو على

كفره وصدوده عن دواعى الإيمان جاءت الحقيقة فى قول الله تعالى ﴿**يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين**﴾ [هود: ٤٦]. ولقد أذعن نوح لربه وأناخ رواحله فى ساحة الرضا عن مولاه وقدره الراصد الرحيم .

فالأهلية هى أهلية العقيدة وليس بحال أهلية الدم ولا أهلية اللحم أمامها بشىء.

ونمضى مع إبراهيم فى آيات من سورة إبراهيم عليه السلام حيث يقول الله تعالى ﴿**ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**﴾ [إبراهيم: ٣٧] فهو بقوله (ليقيموا الصلاة)يسترعى أنظارنا أن اعتزازنا ينبغى أن يكون للصلاح وللتقوى اللتين نمهد بهما الطريق إلى عقول ناشئتنا العزيزة وقلوبهم بالعمل والأسوة قبل الأمر والكلام .

و إبراهيم عليه السلام فى رؤيته البصيرة و إدراكه السوى للأزل والأبد يحكى الله تعالى من قوله عليه السلام ﴿**الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل و إسحاق إن ربى لسميع الدعاء * رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**﴾ [إبراهيم: ٣٩ ـ ٤١] والمؤمنون فى اعتباره وهو الحق هم كل بر وتقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأود أن نقف قليلا أمام قول الله تعالى ﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا و إنه فى الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له**

ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٢] وفى متابعة الخلف للسلف فى الاهتمام بالأبناء والحرص على تنشأتهم على مراد الله يبرز الحق من كلام يعقوب عليه السلام فى سكرات الموت قول الله تبارك وتعالى ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذا قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٣] حتى فى السكرات يترك لنا الأنبياء والصالحون نماذج الرعاية للأجيال التى تناط بها الآمال لتكون نبراسا نسير فى نوره ونحن نرعى ودائع الله عندنا بكل ما يجب لهم من يقظة وبصر وحلم وحكمة.

وهذا زكريا عليه السلام يسأل الله تعالى ﴿رب هب لى من لدنك ذرية طيبة﴾ [آل عمران: ٣٨] وما يفهم الأسوياء طيب الذرية فى وفرة لحمها وغزارة شحمها وكثرة عددها بقدر ما يفهمونها صلاحا وتقوى ورشادا وسدادا ونشاطا فى مجالات الخير وولد واحد ذكرا كان أو أنثى يرتبط بدينه ويحيا بأخلاقه ويحتل من قلوب الناس أكرم منزلة بسلوكه ومكارمه ترجح به موازين الشرف على نحو لا يرتفع إليه العشرات من الأبناء الذين لم يهتدوا بهدى الله فاللهم ارزقنا من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء .

■ شباب آمنوا بكليم الله موسى :

لقى موسى عليه السلام من كيد فرعون ولؤم قومه ما صبر عليه وكان به من أولى العزم واستحق أن يكون كليم ربه تباركت آلاؤه ولقد جعل الله هارون عليه

السلام ردءاً ومـددا لموسى عليـه السلام فى مهمتـه الشاقـة فى بنى إسـرائيل الذين كانـوا يؤمنون بدعوته ويـذعنون لأمره ثم لا يلبثون غير قليـل حتى يشركوا بالله قال تعالى ﴿**وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى علـى بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون * وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر**﴾. وأنجى الله تبارك وتعـالى بنى إسرائيل وأغـرق عدوهم ونجاه ببدنـه ليكون لمن خلفه آية على إملاء الله للطغاة و إمهاله لمن كذب رسله وعاداه فماذا كان ؟.

قال تعالى ﴿**وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قـالوا يا مـوسى اجعل لنا إلهـا كما لهم آلهـة قال إنكم قـوم تجهلون * إن هؤلاء مُتَبَّرٌ مـا هم فيه وباطل ما كـانوا يعملون * قال أغير الله أبغيكـم إلها وهو فضلكم على العالمين**﴾ [الأعراف: ١٣٧ ــ ١٤٠]. وتفضيلهم علـى عالمـى زمانهم وإيتـاؤهم من خيره ما كفروه ولـم يقوموا بشكره لم يمنع شبيبـه صالحة منهـم أن يستقيموا علـى أمـر موسـى عليه السـلام وبهـذا استحقوا إشـادة الله وتنويهه بهم فى قوله تعالى ﴿**فما آمن لموسى إلا ذرية مـن قومه على خوف من فرعـون وملئهم أن يفتنهم وإن فـرعون لعال فـى الأرض وإنه لمن المسـرفين**﴾ [يونس: ٨٣] وكـان موسى يتعاهدهم بـوصايا ويعمق إيمانهم بمثـل قوله ﴿**يا قوم إن كنتم آمنتـم بالله فعليه توكلـوا إن كنتم مسـلمين**﴾ [يونس: ٨٤] وكـانوا أسـرع من رجع الصدى فى الاستجابة لأمره والإذعان لتوجيهه فما لبثوا أن قالوا ﴿**على الله توكلنـا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظـالمين ونجنا برحمتـك من القوم الكافرين**﴾ [يونس: ٨٥، ٨٦].

وقال تعالى ﴿**ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**﴾ [الأعراف: ١٠٠] وهؤلاء مثل قوم يونس الذين استوجبوا من الله بإيمانهم حفظه وأنعمه قال تعالى ﴿**فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين**﴾ [يونس: ٩٨] وهكذا يفعل الإيمان إلى آخر الزمان .

والقرآن الكريم يرد صالحى بنى إسرائيل إلى الذين آمنوا بنوح وركبوا معه السفينة قال تعالى ﴿**وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا * ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا**﴾ [الإسراء: ٢، ٣] والله تعالى يمدح إسماعيل عليه السلام فيقول ﴿**وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا**﴾ [مريم: ٥٥] مرضيا بعمله قبل أصله .

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

ورحم الله عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فقد قال :

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوما على الآباء نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

ولقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يستجيب لله تعالى فى قوله ﴿**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى**﴾ [طه: ١٣٢] .

روى ابن أبى حاتم عن ثابت قال كما ذكر الإمام الشوكانى فى تفسيره

كان النبى ﷺ إذا أصابته خصاصة أى حاجة نادى أهله (يا أهلاه صلوا صلوا) قال ثابت وكان الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة وابن عباس يروى مثل ذلك عن النبى ﷺ للإمام ابن كثير فى قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**﴾ [التحريم: ٦] قال سفيان الثورى بسنده عن على رضى الله عنه «قوا أنفسكم وأهليكم نارا» يقول «أدبوهم وعلموهم» وعن ابن عباس فى الآية «اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصى الله وأمروا أهليكم بالذكر ينجكم الله من النار» حتى ذكر قول قتادة «نأمرهم بطاعة الله وننهاهم عن معصية الله ونقوم عليهم بأمر الله فنأمرهم به ونساعدهم عليه فإذا رأيت لله معصية قدعتهم عنها وزجرتهم عنها قال الضحاك ومقاتل: «حق على المسلم أن يعلم أهله ما فرض الله عليهم وما نهاهم عنه»، قال ابن كثير وفى معنى هذا الحديث الذى رواه أحمد والترمذى وأبو داود (مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنوات فاضربوه عليها) قال هذا لفظ أبى داود، وقال الترمذى هذا حديث حسن ورواه أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ مثل ذلك ،قال ابن كثير: قال الفقهاء وهكذا فى الصوم ليكون ذلك تمرينا على العبادة لكى يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر وقال الإمام الشوكانى فى قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا، قال ابن جرير: فعلينا أن نعلم أولادنا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب .

أخرج الترمذى بسنده عن سعد بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن) وفى الجامع الصغير

بســنده أن رسول الله ﷺ قال (أكرمـوا أولادكم وأحسنوا أدبهم) رواه ابن عباس رضى الله عنه، وقوله أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهـم يبلور أن حسن تأديبهم هو إكرامهم فإن أدبهم مفتاح الخير كله ولقد حرص الرسول ﷺ على أن نكون على بينة من الأمور التى تلزم الأطفال فنبين لهم ما بين الرسول عليه الصلاة والسلام فى بـول الذكور والإناث ومـا يفعل للطهارة منهما وهـم فى رحلة الرضـاع فقد أخرج البخـارى ومسلم رضى الله عنهمـا أن عائشة رضـى الله عنها قالـت كان النبى ﷺ يؤتـى بالصبيان فيدعـو لهم فأوتى بصبى فبـال على ثوبه فـدعا بماء فأتبعه إياه ولـم يغسله وعن أم قيس بنت محصن رضى الله عنها أنهـا أتت بابن لها صغير لم يـأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فأجلسـه رسول الله ﷺ فى حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنفضه أى رشـه ولم يغسله فكذا كان يقرب إليه أبناء أصحابـه ولا يضيق ذرعه صلـوات الله وسلامه عليه بمـا يكون منهم علـى هذه الصورة .

ولم تفته صلـوات الله وسلامه عليه العنايـة بهم فى مراحل تتـابعت ولا بيان أحكام الشرع فى أعمالهم فى هذه المـراحل و إن لنا فى رسول الله لأسوة حسنة وقدوة طيبة ومن ذلك بيانه حكم المرأة إذا بلغت المحيض ماذا يبيح الشرع أن يظهر من جسمها الذى أمر الله أن يستر ومن ذلك مبادرته إلى الفضل وهو يردفه على دابته فى حجة الوداع حين سألته امـرأة هل تحج عن أمها ومن ذلك بيانه لمكانهن مـن صفوف الجماعة فـى الصلاة وقد أخرج الإمـام البخارى بسنده عن عـائشة رضى الله عنها قـالت جاء أعـرابى إلى رسول الله ﷺ فقـال تقبلون الصبيان فما نقبلهم فقال النبى ﷺ (أو أملك لـك أن نزع الله من قلبك الرحمة) متفق عليـه رواه البخارى مـن حديث عـائشة والمعنـى أنى لا أقـدر أن أجعل

الرحمة فى قلبك بعـد أن نزعها الله منه نعم ذلك وما لا نحصى هنـا من جوانب عنايـة النبى صلوات الله وسـلامه عليه ورحمته وإنسـانيته بالأطفـال ينبغى أن يكون قيد أنظارنا وموضع اعتبارنا . ونحن نخطـط لحاضر الشباب ومستقبلهم، ونمهد للطفـل منهج يومه وغـده حتى لا تشتبه السبـل، ويغرى ببهرج ما يـريد أقوام أن نستورده للطفولة والشباب من مناهج !! .

■ من ضراعات زكريا عليه السلام :

إن لنبـى الله زكريـا عليه السـلام ضراعـات فى غيـر سورة مـن سور القـرآن الكريم وصحيح أنهـا فى أمر واحد ولكن إلهاماتها تبلـغ نياط القلوب وتستثير عاطفة البنوة الفطرية فى الأنفس السـوية لقد دعا ربه فى سورة آل عمران: ٣٨ فقال ﴿**رب هب لى من لدنك ذريـة طيبة إنك سميع الدعاء**﴾ وكان يحيى من لدن ربه مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين وتقص علينا سورة مريم عليها السلام قصة يحيى وزكريا بشىء من الإسهاب الحبيب فيقول الله تعالى ﴿**كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب إنى وهن العظـم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكـن بدعائك رب شقيا * وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتـى عاقرا فهب لى من لدنك وليا * يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا**﴾ [مريم: ١ ـ ٦] وكانت نعمة الله على زكريا وزوجه العاقـر وكانت آية من آيات قدرته البـاهرة وقوته القادرة وكان يحيى عليـه السلام كما قال تعـالى ﴿**يا يحيـى خذ الكتاب بقـوة وآتيناه الحكم صبيا * وحنانا مـن لدنا وزكاة وكان تقيا * وبرا بوالـديه ولم يكن جبارا عصيا * وسلام عليه يوم ولد ويـوم يموت ويوم يبعث حيا**﴾ [مريم: ١٢ ـ ١٥]

وهكذا يكون عطاء الكريم لمن رجاه بعد يأس وبعد فوات الأوان المعهود فى بنى الإنسان ولكن الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء أعطى وأجزل العطاء فهو تعالى يقول للشىء كن فيكون وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها كما قال المعصوم صلوات الله وسلامه عليه وزكريا عليه السلام ينادى ربه فى سورة الأنبياء ﴿**رب لاتذرنى فردا وأنت خير الوارثين**﴾ [الأنبياء: ٨٩] وهو يلحظ فى الفردية ههنا ما صرح به فى سورة مريم من قوله وإنى خفت الموالى من ورائى فحقق الله سؤله وبلغه أمله قال تعالى ﴿**فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه**﴾ وأثنى عليهم بما كان سرا فى هبة الله وفضل الكريم سبحانه فقال ﴿**إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين**﴾ [الأنبياء: ٩٩] إنه المناخ الطيب الذى تزكو فيه غراس الخير.

والأبناء والذرارى يكونون قرة أعين وجسورا قوية تصل الحاضر بالماضى وتؤهل للمستقبل نستعين بالله على ذلك وتتفتح أعينهم منا على صالح ما يؤثرونه عنا وهذا زكريا عليه السلام لم يرده ولدا وكفى ولا غلاما كيفما اتفق ولكنه أراده رضيا لربه مطيعا وكان فوق ما تمنى «وكان تقيا وبرا بوالديه» .

ومن ضراعات عباد الرحمن فى خواتيم سورة الفرقان ما ذكره الله وهو يمدحهم ويصفهم بصفاتهم فيقول ﴿**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**﴾ وما أعظم هذه الضراعة وهى تختم ضراعات القوم وأكرم بذرية تكون ثمرة أبوة تقية نقية تلك هى الذرية الطيبة

التى يسعد الله بها قلوبنا فى حياتنا فإذا صرنا إلى الله وخلفنا وراء الظهور هذه الحياة، جددوا عملنا وأبقوا فى الناس ذكرنا وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) رواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وأحمد والدارمى من حديث أبى هريرة يدعو الولد لأبويه كما قال تعالى ﴿**وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾ [الإسراء: ٣٤] أو يدعى لوالديه بسبب ما يرى الناس من صلاحه وجميل سيرته فى الحياة أثرا لإعداد أبوى بعد توفيق الله الذى بنعمته تتم الصالحات وجلت منة الله الذى يقول ﴿**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون**﴾ [النحل: ٢٢] والبنون والحفدة فى الآية واسطة العقد فهم بين الأزواج آية الله فى حفظ النوع وفى السلام العائلى وترابط الناس، وهما مما رزق الله عباده من الطيبات وهو تعالى يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ولا يهبها إلا هو سبحانه ﴿**قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾ [الأعراف: ٣٤] ﴿**وإن من شىء إلا عندنا خزائنه**﴾ [الحجر: ٢١] والذرية الصالحة هى فى دعوة الملائكة ربهم للمؤمنين بارزة ظاهرة قال تعالى ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو**

الفوز العظيم﴾ [غافر: ٧ ـ ٩] .

وفى مجال تنويه الله تعالى ـ وهو أعلم بمن خلق ـ بآدم ونوح وأقوام قال سبحانه ﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤] .

فالأصول الصالحة مؤملة أن تكون منطلقا للفروع الصالحة إلا أن تتعلق حكمة الله بأن يشذ أحد ولدى آدم أو يكفر ابن نوح ويضل ﴿**وحال بينهما الموج فكان من المغرقين**﴾ [هود: ٤٣] وأمل لعقلك فى هذه الحقيقة واقرأ معى قول الله تبارك وتعالى ﴿**وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل وإليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده**﴾ [الأنعام: ٨٣، ٨٤] نعم إنه لابد من الذرية الطيبة فالقرآن الكريم يشير إلى قول الملائكة ﴿**ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم**﴾ فيما سلف من سورة غافر لنعرف أن الصلاح هو العروة الوثقى بين الآباء والأبناء وبين الأزواج والزوجات فخليل الرحمن إبراهيم فى الحياة وبعد ما حاول أن يرد أباه عن عبادة الأوثان إلى توحيد الله قال ما حكى الله تعالى ﴿**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه**﴾ [التوبة: ١١٤] وزوجة نوح وزوجة لوط لم يغن واحدة منهما من

عذاب الله ومقته أنها كانت زوجة نبى ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ [التحريم: ١٠] وكانت خيانتا هما الكفر و إشاعة أسرار الزوج (١) وقد مربنا منذ زمن قريب إلماح بابنى آدم ونوح وقد ذكر الله مثلا فى الأبناء سيئا فقال ﴿والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ [الأحقاف: ١٧] فلنقرأ القرآن ولنقرأ السنة ولنطلب الذرية الصالحة الطيبة من الله رب العالمين .

■ مثل العفة الكاملة :

إن قصة يوسف عليه السلام وما جرى عليه من مكايد ومحن وما تداركه الله به عبده من لطف و إحسان تتعدد فيها العظات وتكثر الدروس والعبر ومبلغ ما ألفت إليه الأنظار ههنا منها أن يعقوب عليه السلام كان ملهما علمه ربه من أمر يوسف ما لم يكن قد حان حينه وآن أوانه فمنذ اللحظة الأولى التى قص يوسف رؤياه فيها على أبيه قال له ﴿يا بنى لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين * وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم و إسحاق إن ربك عليم حكيم﴾ [يوسف: ٥، ٦] وكم لكلمة (يابنى لاتقصص رؤياك على إخوتك) كم لهذه الكلمة من أسر

(١) كفرت امرأة نوح، وكفرت امرأة لوط برب العالمين وكانت تذيع سر ضيفان لوط عليه السلام .

للنفس وإثارة للحس وإلهاب للعواطف الكريمة .

إن يعقوب عليه السلام يسارع فيبرز ليوسف من مخايل نفسه ومكارم ذاته وحاله في غده ذلك الغد الذي استأثر الله بعلمه وعلم ما شاء لحكم وأسرار من معانيها في قصة يوسف ألا تهزه الأخطار ولا تتكاءده الأزمات الكبار فيما يواجه من صروف المستقبل وكذلك كانت كلمات يعقوب ليوسف مبعث سكينة نفسه وهو يُلقَى بيد إخوته في الجب ثم وهو يمضي مع السيارة للمجهول لتبيعه وهو الحر الأبى الذي بغى عليه من كان يرجى دفاعه عنه ثم وهو يفدح في بيت العزيز بما فعلت امرأة العزيز ثم وهو يدخل إلى السجن بدون ذنب جناه ولا إثم اقترفه حتى كان بعد ذلك على خزائن الأرض كما قال عزيز مصر الذي استدعاه واستخلصه لنفسه فقال يوسف ﴿**اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم**﴾ [يوسف: ٥٥] وهما صفتان ترشحان للمعالي وتؤهلان صاحبهما لأرفع الدرجات الدنيوية وما عند الله خير للأبرار.

ويوم يرتفع شبابنا إلى مستوى الأمانة والعلم سيكونون أقدر، والله معهم، على استكمال العزة لأنفسهم ولأمتهم ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ [المنافقون: ٨] .

وتعاقبت الأيام ويوسف يتنقل بإيمانه وأمانته وعلمه في مدارج الكمال حتى قال الذين كادوا له وبغوا عليه من إخوته ﴿**تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين**﴾ [يوسف: ٩١] وما كان أجل يوسف وأعزه وهو يعفو ويصفح ويرخى سدول الغفران على ماضي كريه ويقول ﴿**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**

وهو أرحم الراحمين﴾ [يوسف: ٩٢] وما كان أجله وأعلى قدره وهم جميعا يخرون له سجدا فلم يك ذلك محذورا فى القديم[١] وقال﴿**يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم *رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين﴾** [يوسف: ١٠٠، ١٠١].

وما أوثق الصلة بين (يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) وبين قول أبيه من قبل ﴿**يا بنى لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾** تلك هى الحياة نملك من أزمتها ومباهجها وبهارجها ما نملك ثم يأتيها بعد ذلك أمر الله أو يدركنا نحن قدره الراصد .

لكن يوسف عندما استقامت له مناهجها وكملت مباهجها لم ينس أن الله علمه تأويل الأحاديث ولم يغفل عن حقيقة الحياة وأنها مادامت لأحد أبدا ولا بقيت سرمدا لإنسان قط سنة الله التى قد خلت فى عباده وقال صلوات الله عليه (توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) إن الحفيظ العليم الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب، بن إسحاق بن إبراهيم تقدم قصته للشباب أمثلة الإيمان والصبر على المكايد والعفة والطهر حين تغلق الفتنة الأبواب وتقول (هيت لك) والقيام بحق الله فى الدعوة إليه والتذكير به على كل حال كما كان يوسف داعيا إلى الله فى السجن مستثمرا ما آتاه الله من

---

(١) بمعنى الطاعة والاحترام لابمعنى السجود الذى انفرد به الله .

حكمة وما علمه من علم، ويوسف عليه السلام لم يتعجل اقتطاف الثمرة لقد تركها حتى تنضج ويكون الانتفاع بها على خير حالاته لقد كان من الممكن وقد أول يوسف رؤيا الملك أن يستجيب لدعوة الملك له لكنه رد على الملك من جاء يخبره بذلك كي يعيد النظر في أمر امرأته والنسوة اللاتى قطعن أيديهن حتى يخرج من السجن كفلق الصبح لايمسه غبش ومكن الله بعد ذلك له في الأرض وتردد إخوته مرات وهو عارف بهم وهم له منكرون[1] فحقق لهم بعض سؤلهم ولم يصارحهم بما كان من فعلهم وأتاح لهم فرصة التردد عليه حتى آوى إليه أخاه فتضاعفت محنة يعقوب وكان الفرج وأوشك نور الصباح أن يطرد حنادس الظلام قال تعالى: ﴿**فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين * قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون * قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين**﴾ [يوسف: ٨٨ ـ ٩٠].

الإيمان بالله والصبر وانتهاز الفرصة للدعوة إلى الله بحكمة وتثبت والعدل في القريب والبعيد والمحسن والمسيء والعفة والطهر والترفع عما يريب وإقالة العثرة والعفو عند المقدرة والاعتراف بالفضل لله ولى من تولاه أمور نستخلصها من قصة يوسف ونبرزها ليأخذها الشباب على رأس ما يأخذون من وسائل تصنع حاضرهم الطيب وتمهد لمستقبلهم المرجو على ثقة بأنه يرضى

(١) ألم يقل الله تعالى ويوسف في الجب ﴿**وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**﴾ [يوسف: ١٥].

الله تعالى ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ [البقرة: ١٤٣].

■ مصارع الطغاة :

إن الهدى هدى الله حقا ولا يسوق الخير إلا الله ولا يكشف السوء إلا من يقول للشيء كن فيكون إنه تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وكم غرت أقواما أنفسهم فحسبوا أنهم يدركون بحولهم وطولهم وذكائهم وعلمهم هذا الأمر أو ذاك وإنهم قادرون على دفع شدة أو كيد دون أن يعينهم الله أو يأتيهم من لدنه مدد فكان حولهم هباء وطولهم هراءً وكان ذكاؤهم وهما وعلمهم زعما وكانت الآمال أبعد من السماء إليهم وكانت قدرتهم على دفع الضرر وقمع الشر دعوى ولا شيء وراء ذلك إلا كثافة الشر وازدياد الضر وعقبى الغافلين .

ويوم قال قارون للذين بصروه بحقيقة الدنيا وأنها تقبل وتدبر ولكنها لا تدوم على حال ولا تبقى لحي كما يحب وإنها هبة الله ووديعته عندنا إلى حين فما ينبغي الركون إليها ولا الاغترار بها ولا الرضاء بها عما عند الله في الحياة وفيما وراء الحياة قال تعالى ﴿**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا**﴾ [الكهف: ٤٥] .

ولكن قارون خدعته نفسه وزينت له غير الصواب وقال لصحبه ما أنبأ عن فساده هو وانحرافه، وبدا في يوم جامع في أوفر زينة وكأنه يتحدى القدر ويقول للأبرار الهداة هأنذا وراح قصار النظر يتمنون بعض ما أوتي من قوة وسطوة

وثـروة، وبادرهـم بصـادق النصح والتـذكيـر طـائفة لا يخلـو منهـم زمان وهـم يصدعـون بالحق فى حكمـة و إبقاء ووضعوا قيد بصيـرتهم وأبصارهم حـوافظ الخير ودواعـى اليسر ووسـائل الأمن والتمكيـن وكانـت عاقبـة قارون خسـرى فلنتأمل معا ذلك كلـه فى قول الله تعالى ﴿**إن قارون كان من قـوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيمـا آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض أن الله لا يحب المفسدين * قـال إنما أوتيته على علـم عندى أو لم يعلم أن الله قـد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون * فخرج على قومه فـى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يـا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لـذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلـم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمـل صالحا ولا يلقاهـا إلا الصابرون فخسفنا بـه وبداره الأرض فما كان لـه من فئة ينصرونـه من دون الله وما كان مـن المنتصرين * وأصبح الـذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكـأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لولا أن من الله علينا لخسـف بنا ويكـأنه لا يفلـح الكافـرون * تلك الـدار الآخرة نجعلهـا للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين**﴾ [القصص: ٧٦ - ٨٣].

وفى تـاريخ الأهـدل - مـن علماء اليمـن - بسنـده رأيت الشيـخ أبا حـامد الإسفراينى بمكة وعليه ثياب من ثياب الملـوك وله مركب من مراكبهم والناس تعظمه فبينما هو فى الطواف سمـع قارئا يقرأ قول الله تعالى ﴿**تلك الدار الآخرة**

نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ [القصص: ٨٣] فبكى وقال اللهم أما العلو فقد أردناه وأما الفساد فلم نرده والشيخ رحمه الله أندى عاطفة وأصدق عقلا من كثيرين وكثيرين .

ولقد كان للحجاج بن يوسف الثقفى علمه وذكاؤه وكان منه ما كان، قال صاحب الوفيات: مرض الحجاج آخر عمره بالأكلة وهى تسوس فى العظام وتعاظمت علته وشكا داءه إلى الحسن البصرى فقال له الحسن قد كنت نهيتك أن تعرض للصالحين فلججت فقال الحجاج: (يا حسن لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عنى ولكنى أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحى ولا يطيل عذابى) فبكى الحسن بكاء شديدا.

وبكاء الحسن يؤكد أن إملاء الله للظالمين ليس إهمالا لكنه إمهال واستدراج مصداق قوله تعالى **﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملى لهم إن كيدى متين﴾** [القلم: ٤٤، ٤٥] .

وأين كيد الدنيا من كيد يوم الدين؟ إنها لعظات للآباء كما هى عظات وذكرى للأبناء حتى لا تغشى على بصائرهم أفكار يرجمهم بها عدوهم ويحسبونها بغير حق المدنية والحضارة والعلم والأخذ بأنفع وسائل الحياة .

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

إن لفت أبصار أبنائنا الأعزاء وشبابنا المرجو إلى هذه المشاهد الحقة فى كتاب الله تثمر كل خير إنها تدعم عقيدتهم فى الله مولى النعم وولى المتقين وممهل الجبابرة اللاهين إلى حين، وتعطى أولى الألباب من نماذج البشر

وصنوف النـاس وعديد تصرفـاتهم أمام عطـايا الله وهباتـه ما يدعوهـم إلى أن يكونـوا من أرفع هـذه النماذج ومـا يربأ بهـم أن يكونوا عبيـد ذواتهم ولـذاتهم وأسرى شهواتهم وأنانياتهم وسكرى نعم لودامت لغيرهم ما صارت إليهم وهى صائرة لامحالـة فى حياتهم أو منقلبة إلى غيـرهم بعد مماتهم وويـل لمن ترك أهله فى خيروأقبل على ربه بشر.

ومشهد كهذا المشهـد من مشاهد القـرآن الكريم يضع العلـم والعلماء فى مواضعهـم من الإعـزاز والإكبار والتقـدم للأخذ بـأيدى الحيـرى الضاليـن إلى الصراط المستقيم .

إن المعرفـة بحر لاساحـل له ولكن البحـر قد يغـرق وقد يكون الهـلاك فى بعض ما فيـه من قوى وأسرار ولكن العلـم النافع كان وما يـزال وصية الله للبررة الكرام وكان النبى ﷺ يتعوذ بالله من قلب لايخشع ونفس لاتشبع وعلم لاينفع ودعاء لايستجاب له، وددت أن تقرأ ناشئتنا العـزيزة وأن تقرأ ما ينفع ويرفع وألا تقف فى قراءتها عند ما كتب فـلان وفلان من كتاب الغرب أو الشرق فإن العلم الحديث والعلم القديم ينبغى أن يستهدف العلم النافع وما أوتى هؤلاء الأغيار إلا القليل وفوق كل ذى علـم عليم إن هدى الله فى العلم النافـع والعلم الدافع إلى الخيـر و إن كان على رأسـه العلم بالله ورسـالاته وكلمـاته والقرآن الكـريم المهيمن على تلكم الكلمات جميعا فإنه نـافع للحياة كلها وللأحياء أجمعين وخذوا أنفسكم مع العلم بالعمل به حتـى لايكون علمنا حجة علينا يوم تجزى كل نفس بما كسبت .

■■■■●●●●●■■■■



الفصـــل الخامس

الشــباب الوارث

1 ـ محمد إقبال والقرآن .

2 ـ لا تفتننكم الحياة .

3 ـ اصحبوا دينكم مسافرين ومقيمين .

4 ـ جوانب هامة فى دنيا الناس .

5 ـ الاعتدال والإسلام .

6 ـ وبعـــد .

7ـ المحتوى .



■ **محمد إقبال والقــرآن :**

نفذ محمد إقبال الهندى المسلم بقلبه البصير إلـى أسرار فى الدين الخاتم قرآنا وسنة وحياة رجال إلى حد لم ينفذ إليه كثيرون من المنصفين والأدعياء فى دنيا الفكر والثقافة والإعلام المعاصر، وما أظن أنهم سينفذون إلى أيسر حظ من ذلك بعلمهـم المادى يـوما حتـى يتعرضـوا لشىء مـن الإيمان بـالله وكلماتـه ﴿**واتقــوا الله ويعلمكم الله**﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

إن محمد إقبـال يقول «مـن خير ما أوصـانى بـه أبى أنه قـال: «يا بنـى إقرأ القرآن كأنه أنزل عليك»! ولقد حفظ إقبـال القرآن، ولم يقف عند حدود حفظه لكنه تـدبره جهـده ومضى يسبر أغـواره، ويدرك بعـون الله أسراره ويحصـل من ذلك ما أراد الله مـن كتابه الذي يهدى للتـى هى أقوم والذى يطالعنـا فى سورة الفاتحـة بأول ما علمنا الله أن نسـأله ﴿**اهدنـا الصراط المستقيم صراط الـذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين**﴾ .

لقد فتـح القرآن لإقبـال جميع أبـواب المعرفـة، وكشف لـه أسباب العلـم النافع الـرافع، وهذه آثاره العلمية تدل عليـه وتشهد بكل ما هو أهلـه من إعزاز وتكريم .

إن أقواما يقرأون القـرآن لايجاوز حناجرهم، ولا يثير فيهـم من الالتزام، وأخذ أوامره ونواهيه مأخذ التطبيق ويمرون بعبره وعظاته وقصصه وأمثاله وأخباره وهم فى غفلة ساهون إنه يدعوهم أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا فلا يراهم إلا متفرقين متباعـدين مزقتهم الأنانيات والمطامع واعتبـارات الحياة الجديدة

التى لايعصم من شرورها الطاغية غير القرآن والسنة منذ ألقى إليهما أسلافنا أسماعهم وفتحوا عليهما جميع منافذ الإدراك فيهم، وحشدوا مثل ذلك من مشاعرهم لقول رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع «وقد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما اعتصتم بهما كتاب الله وسنتى» رواه مسلم والترمذى وأبو داود وابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله.

ولد إقبال فى بيت عرف الإسلام من قرابة مائتى سنة وكان لأبيه وجده من الصلاح والتقى حظ نوه به الخبير السيد أبو الحسن على الندوى فى كتاباته الطيبة عن إقبال الذى طلب العلم صغيرا فى مدرسة بلدته «سيالكوتمن» إقليم البنجاب وهى بلدة اشتهرت بعلماء البلاغة العربية وعلوم الكلام وغيرها، ويذكر العلامة السيد الندوى من مخايل ذكاء إقبال أنها ظهرت مبكرة فآثره أساتذته، وتأثر بعلمهم وسلوكهم وانتهى من مدرسته تلك إلى مدرسة إنجليزية فى لاهور عاصمة البنجاب، وتفوق فى امتحان عقد له وحصل على مؤهل علمى وكشف بجدارته فى أمهات العلوم التى لم تكن دينية فحسب، ولكنها كانت علوم الأدب والفلسفة التى لم يلبث أن هذبتها فيه نظراته الثواقب فى كتاب الله وسنة رسوله وتراث أسلافنا رحمهم الله، وانتفع بثقافة إنجليزى كبير كان فى هذه المدرسة ...

ولست فى مجال الترجمة لإقبال، ولكنى أخلص مسرعا إلى تقرير أن دراسته اتسعت آفاقها، وتعددت فنونها وأعانه حفظه لكتاب الله على النظر فى الأنفس والآفاق والتاريخ وتاريخ الأديان والخلوص إلى الحضارة العربية يسبر غورها، ويعرف خيرها وشرها فى غير انبهار بها، ولا افتتان بمظاهرها، واصطفى

منها ما يأتلف ولا يختلف ومقررات الإسلام دين الحياة والتقدم البصير والعلم الباني والمعرفة الهادية التي لا تقف بالمؤمن عند حد ما دامت التقوى تغلفها، والإيمان بالله يحدوها وينير مسالكها.

كان إقبال إذا ما صلى الصبح يحرص على أن يبدأ يومه بمناجاة الله تعالى بقراءة القرآن الكريم، كأنه أنزل عليه كما أوصاه أبوه في أقل القليل فقد أنزل الله القرآن ليتدبره تلوه وسامعوه.. ورحم الله العلامة الندوي فقد قرر في كتابه روائع إقبال أنه استوعب علوم عصره، وتنقل لذلك بين الهند وانجلترا وألمانيا، وتأهل من ذلك المستوى الرفيع لأن يكون ثقة للعطاء في هذه العلوم، لكنه أضاف إلى ذلك علوم مدرسة يقول فيها السيد الندوي إنها مدرسة ما خاب من تعلم فيها، وما ضاع من تخرج منها، إنها مدرسة لم تخرج إلا أئمة الفن المجتهدين، وواضعي العلوم المبتكرين وقادة الإصلاح الذين يشغلون المدارس ورجالها بتفهم ما قالوا... حتى قال «إنها مدرسة القلب والوجدان» .

وكم يزخرف الشيطان الباطل لأقوام فيأخذونه على أنه الحق والصواب لأنهم لم يعرضوه على موازين العقيدة التي لم تخلص لهم ولم تطمئن بها قلوبهم، لكن محمد إقبال قاده قلبه وهداه وجدانه إلى الاتصال الروحي بالنبي ﷺ، اتصال يتمثل لأقواله وأعماله، على نحو يبلغ به حد البكاء والنشيج كلما ذكر اسمه أو تحدث به متحدث، قال السيد الندوي «ولم يزل حبه للنبي ﷺ يزيد ويقوى مع الأيام حتى كان في أخريات عمره كلما جرى ذكر النبي عليه الصلاة والسلام في مجلسه أو ذكرت المدينة: على منورها ألف سلام ـ فاضت عينه، ولم يملك دمعه» .

ودمـوع التماسيـح فـى المسارح والمسلسـلات ، وكلام الـذيـن يخدعـون أقوامهـم وشعوبهـم بزخـرف القول والمظـاهر الكـاذبة كثيـرة وهى إن خفيـت دواعيها بعض الوقـت لاتلبث أن تظهر والدمع المصنوع ـ كما قـالوا ـ لا يخفى وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة .

إذا اشتبكت دموع فى خـــدود * تبين من بكى ممن تبـــاكى !!

إن حب إقبال للنبى أورثـه شفافية روحه، وعمق خشيته لـربه.. ألا تراه يقول فى بعض ضراعاته ومناجاته لله «أنت فى غنى عن العالمين، وأنا عبدك الفقير، فأقبـل معذرتـى يوم الحشـر، وإن كان لابـد من حسـابى، فـأرجوك يـارب أن تحاسبنى بنجوة مـن المصطفى ﷺ، فإنى أستحى أن أنتسب إليـه، وأكون من أمته وأقترف هذه الذنوب والمعاصى» إنـه إيمان كان يعتد به إقبال إلى المدى الذى أذكر معه قوله فى سكرات مـوته «أنا لا أرهب الموت، إن المسلم يستقبل الموت راضيا مسرورا» .

لقد أحـب الله وأحب رسولـه وروّى القرآن فى نفسـه نبتة هذا الحـب الذى أدعو شبابنا الأثير إلى التماس بيانه للتأسـى به مع من خرجتهم مدرسة الإيمان والقرآن عبر الأزمان .

■ لاتفتننكم الحيــاة :

إن من الجهل بمكان أن تفتـن الحياة شبيبتنا فلا يعرفونهـا إلا انتهابا للذات وإيثار التمتـع بكل مـا يواتـى من شهـوات والاشتغال بهـا عما أوجـب الله من العمل للحياتيـن والجد فى الصالحـات فى الدنيا لنقـدم بذلك من دنيـانا ما

نجده خيرا وأعظم أجرا فى أخرانا ومن الجهل بمكان كذلك أن نشترى عاجلا لايدوم بآجل هو عدة الله الذى لايخلف وعدا ولا يظلم مثقال ذرة، وكم قتلت الحياة أقواما افتتنوا بها وأودى إقبال الحظوظ بآخرين عبوا كئوسها حتى الثمالة، ولو أنهم أخذوا الحياة التى خلقها الله لهم بقصد واعتدال لأرضوا ربهم الذى نعى على المسرفين إسرافهم بمثل قوله تعالى: ﴿**وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين**﴾ [الأعراف: ٣١] .

وجاءت السنة المطهرة بذلك فقال صلوات الله وسلامه عليه: «كلوا واشربوا والبسوا فى غير سرف ولا مخيلة» البخارى وأحمد عن ابن عباس وغيره .

أجل لو أن هؤلاء الذين فتنتهم الحياة وبلغوا بها حد الوله، أخذوها بقصد واعتدال لأرضوا مولاهم فملكهم زمام السعادة بدنياهم وكان لهم حين يصيرون إليه مالا وراء وراءه من رضوان الله عز وجل. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم**﴾ [التوبة: ٧٢] .

إن وراء حياتنا الفانية حياة لا تفنى والمؤمن يقدم من يومه لغده، ومن شبابه لهرمه، ومن صحته لسقمه، ومن غناه لفقره، ومن دنياه لآخرته. فلا يغلب دارا على دار ولا يعمل لإحداهما غير ملق بالا إلى أختها، وسعيد كل السعادة من أخذ نفسه بقول الله تعالى: ﴿**قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا**﴾ [النساء: ٧٦].

وما صرفنا الله عز وجل عن الدنيا بحال ولا جردها من الخير فإن كل خير فيها هو الذى نجده فى الآخرة خيرا وأعظم أجرا، وقد وجهنا النبى ﷺ وجهة الخير

فى قـوله: «ليـس خيركم مـن عمل لـدنياه وتـرك آخرته، ولا خيـركم مـن عمل لآخرته وترك دنياه ولكـن خيركم من أخذ من هذه وهذه» ابـن عساكر والديلمى عن أنس بألفاظ متقاربة كشف الخفاء .

والإمام ابـن قيم الجوزيـة يعقد فى كتـابه روضـة المحبين فصلا يجلـو فيه عشاق الحياة والمفتونين بها جهلا بأنها تقبل وتدبر وتغدو وتروح وأنها مادامت لأحد أبـدا ولن تدوم بعـد أن قال الله لمصطفاه صلـوات الله عليه: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخالدون**﴾ [الأنبياء: ٣٤] .

وبعد أن ضرب الله فيها الأمثال فقال: ﴿**كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعـام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**﴾ [يونس: ٢٤] .

وهأنذا أختطف لك شذرات مما قال وأوجـز ما بسطه ابن القيم فى كلمات قال «وقـد يكون سبب السكـر وهو لذة يغيـب بها العقـل الذى يعلم بـه القول ويحصل معه التميـز واستظهر رحمه الله لهذا المعنى بقـول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنـوا لاتقربوا الصلاة وأنتـم سكارى حتى تعلموا مـا تقولون**﴾ [النساء: ٤٣] .

قـال وقد يكـون ذلـك السكر بسبـب لذة الفـرج بـإدراك المحبوب بحيـث يختلط كـلامه وتتغير أفعالـه لزوال عقله وربمـا قتله الفرح بسبب طبيعـى وهو انبساط دم القلب انبساطا خارجا عن العـادة، والدم حامل الحار الغريزى فيبرد

القلب بسبب انبساط دمه فيحدث الموت. قال وقد جرى هذا لأحمد بن طولون أمير مصر فقد مر بصياد فى يوم كان باردا وعنده ابن له فأمر أحمد غلامه شفقة على ذلك الصياد وابنه أن يدفع إلى الصياد ما معه من الذهب فصبه فى حجره ومضى فاشتد فرح الصياد بالذهب فلم يحمل ما ورد عليه من الفرح فقضى فى مكانه، وعاد الأمير من شأنه فوجد الرجل ميتا والصبى يبكى عند رأسه فسأله من قتله؟ فقال الصبى بصدق فطرة الله فيه مر بنا رجل، لا جزاه الله خيرا فصب فى حجر أبى شيئا فقتله مكانه، فقال الأمير لنفسه صدق نحن قتلناه، أتاه الغنى وهلة واحدة فعجز عن احتماله فقتله، ولو أعطيناه ذلك بالتدريج لم يقتله!! .

إن المؤمنين يسعدهم ما يعطيهم مولاهم من رزق طيب حلال بوسائله الإلهية المشروعة ويمتعون أنفسهم فى قصد واعتدال بما أحل الله لهم وأباح التمتع به على صورة لايجاوز العاقل فيها قيد أنملة حدود ما بين لنا رسول الله ﷺ من حياة المؤمنين ما يدفعهم عنها دافع حين يطلبونها من حسان الوجوه وبشر ف الأسباب وممارسة الشباب الحياة بوسائلها الربانية من حب الله وخشيته وذكره ومراقبته والتوكل عليه والاستعانة به وهم يرجون مرادا ويتحامون شرا وفسادا واليقين فى الله ولى من تولاه واثقين أنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها هى مفاتيح السعادة والأمن فى هذه الحياة وقد يدرك اللاهون من الآباء والبنين فى دنياهم بعض مناهم وهؤلاء يأكلون كما تأكل الأنعام ويحيون كما تحيا الهوام وإليهم يتجه مثل قول الله تعالى: ﴿**ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون**﴾ [الحجر: ٣] .

ونحن نـربأ بشبـابنا أشطـار قلوبنا أن يصـرفهم زخـرف الباطـل عن النـذير العريان من حولهم وفيما يقص القرآن الكريم ويروى من مثلات.

﴿قد جاءكـم بصائر من ربكم فمن أبصـر فلنفسه ومن عمى فعليهـا وما أنا عليكم بحفيظ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

■ اصحبوا دينكم مسافرين ومقيمين :

لايجادل أحد فى حـق الشباب فى التنقل خلال الديـار، للدراسة والتعرف على أكبر قدر من مخلوقات الله، فى أرضه، وعادات خلقه وتصرفاتهم، والإفادة مما حسن منها، وتوقى ما ساء وضر وقد قيل:

تلك أثارنـــــا تدل علينا فانظروا بعدنـــــا إلى الآثار

ولا مانع من أن تتسع جوانب هذا التنقل إلى الآفاق البعيدة، بشرط أن يكون للشباب من الـدين ومناعة الإيمان بـالله، مايعصمهم من السقـوط إلى الأذقان فى المبـاذل والرذائل، وممارسات مـن يلقونهم فـى أقطار وديار مما ينـأى عنه ديننا وأعرافنا الصالحة ، وصرخات الأسى تتعـالى من علل تناسلية يقف الطب عاجزا أمامها، وهى من أمراض الاختلاط فى أحضان المدنية .

إن الإيمان بالله سياج واق من معصية الله، ومجاراة الخادعين من الأصدقاء فى إتيان ما نهى الله تعالى عنه وحذر منه، والله تعالى يقول **﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطـان تذكروا فإذا هم مبصرون * وإخوانهـم يمدونهم فى الغى ثم لايقصرون﴾** [الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢] .

والنبى ﷺ يجعل فى حديثه الصحيح مـن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله

يوم لا ظل إلا ظله الشاب الذى نشأ فى عبادة الله، والرجل الذى دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله، والرجل الذى ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.

أجل إن الإيمان بالله متمثلا فى حبه وحب ما يرضاه من أقوال وأعمال، وفى خشيته ومحاذرة ما حرمه علينا وبغضه إلينا، هذا الإيمان سياج واق فى الحضر والسفر، وفى كل حال.

﴿**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**﴾ [التغابن: ١١] .

﴿**ومن يؤمن بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم**﴾ [آل عمران: ١٠١] .

.. وهذا رجل يكره ما نخشاه على شبابنا أن جدوا السير وتنقلوا بالأسفار بين مختلف الأقطار دون أن يصحبوا معهم دينهم و إيمانهم بالله واستنجاز معيته وفيها حفظه وكلاءته بذكره وطاعته والتسامى بأنفسهم عن سيىء الأعمال والأقوال يقول «إ ـ كريسى موريسون» .

والاحتشام والاحترام والسخاء وعظم الأخلاق والقيم والمشاعر الإنسانية وكل ما يمكن اعتباره نفحات إلهية، لا يمكن الحصول عليها عن طريق الإلحاد... فالإلحاد ـ وهو الشك فى وجود الله، والريب فى وحدانيته، والعدول مع النفس وأهوائها عن كل هداية صالحة ـ والإلحاد أسوأ أنواع الأنانية .

«ولسوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين» .

«وسوف يتحول النظام إلى فوضى، سوف ينعدم التوازن وحفظ وضبط النفس والتمسك بالقيم، سوف يتفشى الشر فى كل مكان... إننا بحاجة كبرى

إلى أن نقوى صلتنا وعلاقاتنا بالله» اهـ .

أجل إننـا نهيب بشبابنـا ظاعنين ومقيميـن أن يعلموا أن العقيدة الإسـلامية محض الكمالات كلها، وليس ذلك الذى يلقونه من شعار الجنس، والاستجابة للغريزة إلى الـدرك الذى قد تنأى عنه بعض العجماوات، فى الميـادين العامة فـى دول الحضارة، والنـور الصنـاعى، وليـس هذا الجـرى الـلاهث وراء آخـر صيحات دور الأزياء وهى أوكـار لليهودية العالمية التى تحـاول هدم كل قائم، وفى المجتمع الإسلامى بخـاصة لترفع هى بنا ينها وتدع لراياتهـا ـ وحدها ـ أن تعلو وترفرف .

.. وليس هذا التسلط الـذى تتغياه وتبتغيه وتبلغ منه الدول الكبـرى حظوظا فى جوانـب الحياة بما تملك مـن أسباب الدمار، ومـا سبقت إليه فى ميـادين التصنيع والاختراع والابتكار والاستثمار فى غفلتنا نحـن عن ذلك الذى كان لنا ردحـا من الـزمـان، فلما خفَّـت العقيـدة، وغـاب سلطان الـديـن بيننا انتقـل الصولجان، وأخذ غيرنا الزمام فى مكان وراء مكان ..

ليس ذلـك هو الحضـارة وليس ذلك هـو المجد وليس ذلـك بالـذى يبقى ويـدوم، وهـؤلاء الأقوام فـى شتـى مـواقعهـم مـن أرض الله يساورهـم القلـق ويخامـرهم اليقيـن فى أن حاجتهـم ماسـة إلى ما يمـلأ فراغ أرواحهـم وخواء أنفسهم، وذلك يـاهؤلاء هو الدين هو الإسـلام، إنه ـ وحده ـ المـلاذ وهو ـ دون سواه ـ طوق النجاة، وحبـل الإنقاذ، كما يقول رجـال الغرب أنفسهم، ويقـوله كذلك مفكراتهم من بنات حواء...

... وددت ونحن نرى أبناءنا وبناتنا يغدون إلى بلاد الشرق والغرب أن يعرفوا أن ما عندهم ليس إلا برقا خلّبا، وثياب الزور، وزخرف الحضارة، وتملق الشهوات وإثارة الغرائز الدنيا، وما ننكر أن في القوم فضائل، وأن لهم من جدهم فى العمل ، ومثابرتهم على استثمار العلم المادى شئون، وأنها مما ينبغى أن نلحظه ونأخذه وندع ما سواه مما يستهلك الأبدان، ويطمس الإيمان، ويفسد الشعور والوجدان، ويجعل حقائق الأشياء فى تصورنا رؤانا وعليها غبش الهوى وتراب الضلال .

روى الكولونيل لورانس أنه جلس يوما مع شيخ عربى جليل وأفاض فى وصف ما يكشفه المجهر من عجائب الفلك، فلما انتهى اتجه الشيخ إليه وقال: «أنتم أيها الأجانب ترون ملايين من النجوم ولا ترون شيئا وراءها، أما نحن العرب ــ ولو قال المسلمون لبر وصدق ــ فلا نرى إلا نجوما قليلة ثم نرى ربنا ورب هذه النجوم أجل إننا نرى فى الكواكب نور مكوكبها، ونرى فى الأفلاك ممسكها أن تزول ومجريها فى سياقها .

فخذوا دينكم فى غدو ورواح ـ أيها الشباب ـ منارا، وليصحبكم فى سفركم وإقامتكم وستجدون أن ما أعطى الإسلام خير مما تعطيه الحضارة اليوم والله الحفيظ عليكم .

■ **جوانب هامة فى دنيا الناس :**

أخرج أصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) رواه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك وعلى بن أبى طالب رضى الله

عنه يقول (علموا أولادكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم) وكلمة على تنبع من علوم جمة وسلوك مثالى رآه الصحابى الجليل وسمعه من معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه وهما حفز قوى لتعاهد أولئك الشباب الذين سيخلفوننا غدا كما خلفنا نحن آباءنا على مواريث العقيدة وأمور الحياة والله تعالى يقول ﴿**وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم**﴾ [الأنعام: ١٦٥] أجل إن الله تعالى استخلفنا فى الأرض وتابع بذلك بين الآباء والأبناء سنة الله قد خلت فى عباده .

وحين قال قوم موسى له (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) قال صلوات الله وسلامه عليه ﴿**عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون**﴾ [الأعراف: ١٢٩] وعسى من الله عز وجل موجبة كما قال العلماء وليست لمجرد الرجاء وهؤلاء قوم عاد يقول لهم هود عليه السلام وهم يسفهون عليه ﴿**أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة**﴾ [الأعراف: ٦٩] والله يقول فى سورة هود عليه السلام ﴿**فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربى قوما غيركم**﴾ [هود: ٥٧] وهود عليه السلام يؤكد هذه الحقيقة من تخالف الناس وتتابعهم فيقول لقومه ﴿**اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**﴾ [هود: ٦١] إنها حقيقة توجب للخلف من الحقوق على السلف ما استوجبوا هم من أسلافهم والإسلام بما يوجب على الآباء للأبناء يبرز جوانب هامة فى دنيا الناس أداه:

أولها: أننا نؤدى لأبنائنا ما أداه آباؤنا لنا .

وثانيها: أننـا نعطى أبناءنا مـن رعايتنا الدليـل الذى يرجح بكـل دليل على حبنا لهم.

وثالثهـا : توكيد أن التربيـة خير من المال الـذى إن خلفناه لهم بدون تـربية ذهب فى أيسر وقت كمـا ذهب أمس الدابر وفى الأثر ما مـن يوم ينشق فجره إلا وينادى يـا ابن آدم أنا يـوم جديد، وعلـى عملك شهيد، فـاغتمنى، فلو غـابت شمسى لم تدركنى إلى يوم الوعيد. .

إن التربية وحدهـا توفر المال والآمال ورضوان الله فى عـاجل وآجل وتصنع جسورا وطيدة بين هؤلاء الأبناء وبين ناس زمانهـم وفرصة زمانهم فيها وهى من قبل ومـن بعد معـراج المؤمنيـن إلى مزيـد الكمال النفسـى وهو ثمـرة الإيمان الحق وتقوى الله ووازع الدين فى القلوب المؤمنـة وما أجدى التربية حين نأخذ بها أطفـالنا مبكـرين ليعلموا أن الأمـر لله وأن بيده وحـده الخير وإليـه المصير ﴿**ليجزى الذين أسـاءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنـوا بالحسنى**﴾ [النجم: ٣١] .

ولقد رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المسلمين بعض الدعـة فقرأ قـول الله تعالـى ﴿**ألا لـه الخلـق والأمر تبـارك الله رب العـالميـن**﴾ [الأعراف: ٥٤] ثم قال «أيهـا الناس من كان له شىء وراء هـذا فليطلبه» وماذا وراء الخلق والأمر إلا المـزاعم والدعاوى والظنـون؟ ولقد ذم الله تعالى أقـواما جعلوا للأصنـام شيئا من التصرف فـى الكون واستحقاق الولاء والإذعـان فقال

تعالى: ﴿إن يتبعـون إلا الظن ومـا تهوى الأنفـس﴾ [النجـم : ٢٣] . وقـذف سبحانه بالحق باطل مـن جعلوا الملائكة بنات الله فقال ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى *وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا﴾ [النجم: ٢٧، ٢٨] .

ووصل الناشئة العزيزة بالدين مـراد جليل وعمل صالح وهو يعوز فى إدراكه كل ما يتـوصل به إلى إقنـاع الشباب والوصول إلـى عقولهم وقلوبهـم بحقائق التوحيد وحـق الله تعالى علينا فى الإيمـان به وجلت آلاء الله تبارك وتعـالى فى ذلك فإنه سبحانه يُطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.

وطاعـة الله تعالـى هى التـزام ما أمـر به والـدعوة إليـه كما دعـا المرسلـون بالحكمة والموعظـة الحسنة واجتناب ما نهى الله عنه بكل رفـق فالناس كلفون بما ألفوا وتخليصهم من الإلف والعادة التى تجـافى الإسلام يستلزم بعد توفيق الله تعالـى مزيـدا من البصر والحـذر والأناة حتى لا يعكـس النهى المـراد ومن المأثورات السـائرة لو نهى الناس عن فت البعـر لفتوه قالوا ما نهينـا عنه إلا وله مصلحة .

إن المؤمـن يمشى فى النـاس وهواتف الإيمان تتفجـر من قلبه فتمـلأ أذنيه بآثار الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر والصوم الذى جمع المشاعر على الأخوة فى الله والزكاة التى لانت بها الأيـدى بعد أن طابت بها الأنفس فقدمت للسائل والمحـروم حقهما المعلوم بارتيـاح ورضى والحج الذى روت أعمـاله ومشاهده عقيـدة المسلم، وأفاد وإخوانـه من شد الأواصر مـا أفادوا والله تبارك

وتعالى يقول فى هذا ﴿**ليشهدوا منافع لهم**﴾ [الحج: ٢٨] هذه الطاعة عصمة للمؤمن من الزلل ووقاية من سوء العمل وطاقة دافعة إلى مراضى الله وهى توجب حفظ الله لذاكريه مصداق قوله تعالى ﴿**فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولاتكفرون * يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**﴾ [البقرة: ١٥٢، ١٥٣] وهى معية كلاءة ورعاية قال تعالى ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب**﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩] وقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه عز وجل (أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه) رواه البخارى وابن ماجه وأحمد من حديث أبى هريرة .

والشاعر يقول بلسان المؤمن:

يذكرنيك الخير والشر والذى أخاف وأرجو والذى أتوقع

ولقد ذكر الله تبارك وتعالى طائفة من خيار خلقه فقال تعالى ﴿**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾ [الأحزاب: ٣٥] ألا ترون الذاكرين الله كثيرا والذاكرات فى ختام الآية التى أوجب الله فيها عظيم الأجر لهؤلاء ثم ألا ترونهم من الرجال والنساء على سواء إننا نلتقى والناشئة العزيزة على ذكر الله والتذكير بأنعمه فكما أن أبناءنا نعم لله عندنا فإن صالحى الآباء

نعمة كبرى على الأبناء يجدون من قِبَلِهم النور إذا ادلهمت الحياة ويبادرونهم بالنصح كلما دعا داعيه ونادى مناديه وواتت مناسبته ويقبل الشباب النصح ويحمدون عاقبته فيكونون الشباب الوارث للحياة ولرضوان الله ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم .

■ الاعتدال والإسلام :

الاعتدال فى كل شىء هو مزاج الإسلام، وميزته على ما سواه من الرسالات الإلهية والشرائع الوضعية، وعلامته الفارقة عند المنصفين ...

والاعتدال هو التوسط بين طرفى الأمر الذى يأخذه المؤمن، وما يأخذه المؤمن لا يكون إلا طاعة لله تعالى نهيا وأمرا، إن الله تعالى يحبُّ حتى ونحن ننهض لأمره، وننشط فى مراقى عبادته أن تكون الوسطية منهاجنا، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو فى الفعل ولا تقصير. والله تعالى يقول: **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾** [الإسراء: ٢٩].

فالشح فى الحالة الأولى، والإسراف والتبذير فى الحالة الثانية هما مما نهى الله عنه، وحذر من عواقبه، وفى معنى الآية «وخير الأمور أوساطها» والأثر معنى الآية وقد ذكر أدل منه كشف الخفا عن أبى يعلى عن وهب .

ومازال ذلك نهجا مسلوكا، وتوجيها مرعيا فى عهود الخير، وسيبقى نصحا يسدى، وحكمة تهدى إلى العقلاء، إلى آخر الزمان، فإن المُنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، والقاعد عن الأخذ بأسباب الرزق جدير بلوم أبى حفص عمر وهو يقول: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وقد علم

أن السمـاء لا تمطر ذهبـا ولا فضة»، وكـلا طرفـى قصـد الأمور ذميـم كما قـال شاعرنا الأول، فكم أصاب الناس من الشر بغلـوهم، بقدر ما أصاب غيرهم من ذلك بتقصيرهـم وقعودهم عن الواجـب ـ ورحم الله أبا الحسنين علـى بن أبى طالـب فهو يقول «عليكـم بالنمـط الأوسط، فإليـه ينزل العالـى، و إليه يـرتفع النازل» .

واعتدال الشباب فى مظهرهم، أمارة حكمـة فيهم وسداد، فإن الإسراف فى التأنق والإيغـال فى مظاهر الزينة، والـذهاب مع الترف إلى أبعد حظـوظه، من دواعى التراخـى عن مزاحمة الآخـرين فى مجالات الإنشـاء والإنماء والتعمير لحياة استخلفنا الله عليها لينظر كيف تعملون ...

و يقول الإمام ابـن قيم الجوزية فى كتـابه «تحفة المودود بأحكـام المولود» من أمور ينبغى أن نقى منها الطفل.

«و يجنبه ــ أى أبوه ـ لبـس الحرير فـإنه مفسـد له، ومخبث لطبيعتـه» وذكر بعض الكبائر ومنهـا شرب الخمر والسرقـة والكذب ثم أورد قول النبـى ﷺ فى تحريم الحرير والذهب (على ذكور أمتى) وقد أحلها لإناثهم .

والصبى و إن لم يكـن مكلفا، فوليه مكلـف، لايحل له تمكينه مـن المحرم فإنه يعتاده و يعسر فطامه عنه، وهذا أصح أقوال العلماء، فبعضهم يرى أن ذلك لا يحرم عليه لأنه غير مكلف و يعينه على الدابـة التى يوضع عليها الحرير، قال ابن القيم وهذا مـن أفسد الأقيسة فإن الصبى و إن لم يكن مكلفـا، فإنه مستعد للتكليف، ولهذا لا يمكن من الصلاة بغير وضـوء، ولا من الصلاة عريانا ولا من

شرب الخمر وما يشيع فى المجتمعات الفاسدة من أمور الجنس .

والحق أن الله خلق لنا ما فى الأرض جميعا، وأوجب أن نأخذ زينتنا عند كل مسجد فقال تعالى ﴿**يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾ [الأعراف: ٣١] .

فكيف يؤمن أقوام ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويسمعون صدر الآية ويصمون آذانهم عن ختامها؟! ويجعلون القرآن عضين؟! .

وليس أثلج لصدور الآباء والمسئولين من أن يروا الجيل الناشىء وقد بدت عليهم أنعم الله، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويكره البؤس والتباؤس، كما قال سيدنا رسول الله ﷺ والله تعالى يقول ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾ [الضحى: ١١] .

والتحدث بالنعمة يكون باستعمالها فى حدود الاعتدال والكمال الذى يليق بالمؤمن، فإن كل شىء لضده يتحول، ومجاوزة حدود الاعتدال إسراف وإسفاف وابتذال .

وبقدر ما نؤكد أن الله خلق لنا ما فى الأرض جميعا، وأن أحدا لا ينبغى أن نستمع إليه وهو يبغّض إلينا أنعم الله التى خلقها لنا، فإننا نؤكد أن الله ذم فى كتابه الترف والمترفين، ووصفهم فقال تعالى ﴿**واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين**﴾ [هود: ١١٦] .

﴿**وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة**

الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ [المؤمنون: ٣٣] .

إن النظافة والطيب وحسن الهندام حين تكون فى اعتدال لا يغض منها ذم ذام ولا يعرض لها اعتراض ولا ملام، ولكنها على العكس من ذلك دلالة أن صاحبها يباهى بعمل ويفاخر بالمنافسة فى مجالات الخير..

وفى الشمائل النبوية أن النبى ﷺ ما فارق فى سفر ولا حضر الطيب والسواك والمشط والمراه .

والإسلام يا شباب دين النظافة، فعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «حبب إلى من دنياكم النساء والطيب، وجُعلت قرة عينى فى الصلاة» أخرجه النسائى والطبرانى وغيرهما عن أنس وغيره «كشف الخفا» رواه النسائى وأحمد من حديث أنس.

وعن ابن المسيب رضى الله عنه أنه كان يقول: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود» الترمذى. وهو فى رواية أخرى عن عامر بن سعد عن أبيه عن رسول الله ﷺ وهو يعدد ويؤكد الحقائق النبوية، والاعتدال الذى نرجو أن يكون فى حساب ناشئتنا فى المظهر، هو أمر الله تعالى حتى فى العبادة وميادين طاعة الله عز وجل، وهو مراده منهم فى أكلهم وشربهم وسهرهم، وما يغلب على الشباب من الميل إلى المداعبة والمزاح، فليكن الاعتدال طابع

ذلـك كله و إطـاره الـذى لايتجـاوزه فيكون عيبـا فيهـم ونقصـا ومبعث مـلام وتثريب.. يقـول الشيخ رشيد رحمه الله «الاعتدال هو الصـراط المستقيم الذى يقل سالكـه فأكثر الناس ينكبون عنـه فى التمتع إلى جانـب الإفراط والإسراف فيكونون كالأنعام بل أضل سبيلا، لمـا يجنون به على أنفسهم حتى قال بعض الحكماء: «إن أكثر الناس يحفرون قبورهم بأسنانهم».

يعنى أنهم لإسرافهم فى الطعام يصابون بأمراض تكون سببا لقصر آجالهم، و إسراع الهمـوم فيهم، والقليل مـن الناس ينحرفـون عنه إلـى جانب التفـريط والتقصير ـ فقـرا أو زهدا ـ حتى قـال الشيخ رشيد «والتزام صـراط الاعتدال أدل على الفضيلة والعقل».

فليلبس شبـابنا فى عافيـة، وليأكلوا هنيئا وليشـربوا مريئا، وليتنافسـوا فى الصالحات جهدهم فى كـل مجال آية للكمال والاعتدال ﴿**قال من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبـات من الرزق قل هى للذين آمنوا فـى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**﴾ [الأعراف: ٣٢] .

■ **وبعد .... فهل استبان الطريق :**

إن الدهر ومـا يحتويه من أزمنة طـالت تلك الأزمنة أم قصرت آيـة من آيات قدرة الله البـاهرة، وعظمتـه الفائقـة، قال تعـالى ﴿**وجعلنا الليـل والنهار آيتيـن فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصـرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا**﴾ [الأسراء: ١٢] .

وقد يدرك الإنسان بعض ما فاته أو يستعيض بعض ما افتقده ولكن الزمن الذى يمر لا يمكن أن يتعلق بعودته أمل أبدا، ورحم الله الذى قال:

ما مضى فات والمؤمّل غيبٌ * ولك الساعة التى أنت فيها

ومن ثم كان على العقلاء من الناس أن يستغلوا أوقاتهم وألا يضيعوا منها شيئا قل أم كثر فى غير صالح عمل ونافع تصرف، فالعمر محسوب عليك ساعة بساعة ودقيقة بدقيقة، ومن عجب أنك لو نظرت إلى عمرك منذ أوجدك الله على تلك البسيطة إلى يومك الذى تعيشه لوجدت نفسك وكأنك ابن اليوم فقط، وما مضى من سنين طوال كأنه حلم ملىء بالأحداث قد مضى وانتهى، وهذا ما يستشعره الناس يوم القيامة فيتهامسون فيما بينهم يومئذ عن عمر الدنيا القصير، قال تعالى: ﴿**يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا * نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما**﴾ [طه: ١٠٣، ١٠٤] . ولكن الله سبحانه يقرر أن عمر الدنيا أقل بكثير مما وصلوا إليه فى حسابهم هذا فيقول ﴿**كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها**﴾[النازعات: ٤٦] ويقول ﴿**كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار**﴾[الأحقاف: ٣٥] .

و إذا عرفت هذه الحقيقة التى لا جدال فيها ولا مراء، والمؤيدة بالدليل القرآنى والواقع الحسى فلماذا لا تأخذ نفسك بقول رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما (كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح و إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك) رواه البخارى من حديث عبد الله بن

عمر رضى الله عنهما.

لقد آمن بذلك الأصفياء من المؤمنين فتنافسوا فى أعمال البر والخير، ولم يضيعوا على أنفسهم وقتا يمكن استغلاله فى طاعة الله وما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بعظيم الفوائد وجليل العوائد حتى أعرضوا عن اللغو الذى يستهلك الوقت ويستغرق الحياة ليكونوا ضمن المؤمنين الذين قال الله فيهم ﴿**والذين هم عن اللغو معرضون**﴾ [المؤمنون: ٣] ولكن كثيرين غفلوا عن قيمة الوقت ونعمة الزمن الذى جعله الله رأس مال الإنسان ، فأهملوه وضيعوه وقتلوه لهوا وعبثا، وفسقا ومجونا جريا وراء بريق الدنيا الزائف ومتعها الكاذبة .

إن من دلائل قوة الإيمان وثبات اليقين أن يعى المسلم تماما نعمة الزمن وقيمة الوقت التى قررها الإسلام، وما أسَد بصره حين يدرك هذه الحقيقة من فجر صباه قال الله تعالى ﴿**إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون**﴾ [يونس: ٦] ، وجعل فى ترادف الأزمنة وتعاقبها عبرة لأولى الألباب وتذكيرا يدفعهم إلى طاعة الله ، وإلى أداء دورهم فى إبلاغ الحياة كمالها الممكن قال الله تعالى ﴿**وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوار**﴾ [الفرقان: ٦٢] ويقول ﴿**يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار**﴾ [النور: ٤٤] وما أكرم ربنا وأمنه وهو يبرز الوقت بين أمره بالتقوى بدءا ونهاية فى قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**﴾ [الحشر: ١٨].

ولقد يظن بعض الناس أن الحساب يوم القيامة قاصر على الأعمال التى كلفنا الله بها فعلا وتركا وأن الزمن غير داخل فى الحساب فيدفعهم هذا الظن الخاطىء إلى التفريط فى أوقاتهم والتهاون فى استغلالها، ولقد حذر النبى ﷺ من ذلك فقال (لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه) رواه الترمذى من حديث أبى برزة الأسلمى، وفى ساحة الحساب الربانية التى لاتطيش فيها موازين العدالة الإلهية يكون الزمن نفسه شاهدا على الإنسان أو شاهدا له، تماما كما تشهد عليه جوارحه ومعالم عمله من الأرض وحيث كان فى أجواز الفضاء وأعماق الماء، فقد ثبت عن الحسن البصرى رضى الله عنه قوله «ما من يوم ينشق فجره إلا نادى مناد من قبل الحق: يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة» .

ألا وإن القرآن الكريم يقرر أن الزمن تتعاقب أوقاته رحمة من الله بعباده للاستفادة منه بكل عمل نافع مثمر، أو الاستجمام الحلال من عمل جاد استعدادا لعمل جاد آخر، فيقول الله تعالى **﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾** [القصص: ٧٣].

لو نظر الإنسان إلى أيام حياته يتفحصها لوجد أيام شبابه تستغرق أكبر قدر منها وهى الأيام التى نبه الإسلام عليها وحث على وجوب استغلالها فى طاعة الله وقد وعدهم على ذلك الجزاء الأوفى والأجر العظيم، وذلك لأن الجهاد النفسى فى تلك الفترة يتطلب مقاومة كبيرة لغرائز النفس وعوامل الإغراء،

وانتصار الشباب فى هذا الميدان بقوة إيمانهم أمر يستحق التقدير والجزاء العظيم، ولقد أخبر النبى ﷺ أنهم فى ظل عرش الرحمن يوم القيامة. فيقول: (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ فى عبادة ربه ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وإذا كانت فترة الشباب أهم مرحلة يجتازها الإنسان فى حياته كان لزاما عليه ألا يضيع شبابه هباءً منثورا وإذا كان هناك بعض أوقات الفراغ فإن على الشباب المؤمن أن يكون أحرص الناس على اغتنامه فى أبواب البر والخير، وأن يهرع إلى القرآن فإنه خير أنيس وإن فى نور البصائر وجلاء صدأ القلوب شفيعا يوم الدين، لقول النبى ﷺ (اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه) رواه مسلم من حديث أبى أمامة الباهلى .

ولا شك أن من تذوق حلاوة القرب طلب المزيد من الخير، ينفق وقت فراغه فى البحث عن أحكام شريعته والتفقه فى أمور دينه، يزود روحه وعقله، ويزكى نفسه وقلبه بما يرتشف من رحيقها وينهل من معينها، فينال خير الدنيا وسعادة الآخرة، يقول رسول الله ﷺ (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) رواه البخارى ومسلم من حديث معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .

وكما اهتم الإسلام بالروح والعقل فقد اهتم بما يكفل للجسم قوته وحيويته فهناك بعض الرياضات دعا إليها الإسلام ويمكن استغلال أوقات الفراغ فيها،

ونستأنس لذلك برياضة الرمى التى دعا النبى إليها فى قوله صلوات الله وسلامه عليه (من علم الرمى ثم تركه فليس منا أو قد عصى) رواه مسلم من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه ، (وقد مر النبى ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون فقال النبى ﷺ ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا) رواه البخارى ومسلم من حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه .

وأين من هذه الرياضات رياضة كرة القدم التى استهوت الناس إلا قليلا منهم وجعلت بعض الماهرين فيها يباعون كما يقولون بملايين الدولارات فى ديار الغفلة عن الرياضات البانية الهادية التى لاتكسر فيها سيقان ولا يلعن فيها آباء ولا جدود.

ومرة أخرى فقد عرف الإسلام قيمة الوقت ودعا الناس إلى عدم التفريط فيه، فحرص المسلمون المخلصون على الاستفادة منه على أوسع نطاق، إيمانا منهم بأن التفريط فيه جريمة يحاسبون عليها يوم الدين، وقد يتعرض هؤلاء الجادون لبعض الناس يريدون تثبيط هممهم وصرفهم عن العمل، فلنحذر أمثال هؤلاء ولنحرص على أوقات فراغنا ننفقها فى الخير، فإن الوقت نعمة من الله يغبن فيها كثير من الناس، والرسول ﷺ يقول (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) رواه البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنه .

و إذا كان الإسلام قد حرص على الوقت ودعا إلى الانتفاع به فإن من فضل الله سبحانه أن جعل التكاليف فى حدود طاقة البشر، لايكلف الله نفسا إلا وسعها، وقد حرص النبى ﷺ فى توجيهاته على رسم المنهج الكريم الذى

يضمن للإنسـان الاستمرار فى العمل واستغلال كل وقـت ممكن دون ملل ولا سـأم فقرر فـى توجيهـاته أن العمـل اليسيـر المتواصـل خير مـن العمل الجـاد المنقطع، فقد تندفع فى الإنسان رغبة جـادة تدفعه إلى الإسراف فى العمل ثم ما يلبـث أن تفتر عزيمتـه ويضعف نشاطـه ويعتريه السـأم القاتل فينقطـع عن العمل وهذا ما يكرهه الإسلام والرسول ﷺ يقول (خذوا من الأعمال ما تطيقون فـإن الله لا يمل حتـى تملوا وإن أحـب الأعمال إلـى الله ما دام وإن قـل) رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها .

فلنعمل شبابا وشيبـا فى حرص على الوقت الذى سيسألنـا الله عزوجل عنه يوم نقف بيـن يديه عزوجـل فيحاسبنا عن أعمالنـا وأعمارنا ويجزينـا سبحانه الجزاء الأوفى فى حيـاة لا بعد بعدها ﴿**وإن الدار الآخرة لهى الحيـوان لو كانوا يعلمون**﴾ [العنكبوت: ٦٤] .

تم بعون الله

●●●●●■■■●●●●●



المؤلف فى سطور :

معوض عوض إبـراهيم ولد عام ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٢ م فى قريته «كفـر الترعة الجديد - شـربين دقهلية حاليا غربيـة سابقا» حفظ القرآن الكريـم فى كتاتيب القرية ومدارسها الأولية.

حصل على الابتدائية من معهـد دمياط الأزهرى سنة ١٩٣٠ وعلى الكفاءة سنة ٣٣ والثـانويـة سنة ٣٥ مـن معهد طنطا الثـانوى وتخـرج فى كليـة أصول الدين سنة ٣٩ وفى الدراسات العليا فى الدعوة عام ٤١ .

عمل واعظ للأزهر فى أسوان عـام ١٩٤٢ وفى الفيوم سنة ٤٥ وفى بورسعيد سنة ٤٨ ـ ١٩٥٦ . عمل مبعـوث للأزهر للوعظ والتدريس فـى بيروت لبنان من ٥٦ ـ ٦٢ ثـم زار اليمن لعـدة شهور عـاد بعدهـا فأنشـاء المعهد الـدينى فـى بورسعيد عام ٦٤ وعمـل فى الوعظ والتدريس فـى العقبة من ١٩٦٥ ـ ١٩٦٩ ثم عمل مفتشـا ومراقبا للوعظ فـى القوات المسلحة ومحاضرا فـى الدراسات العليا قسم الحـديث فى كلية أصول الـدين حتى عام ١٩٧٣ ثم عمـل مدرسا فى كلية الشـريعة فى الرياض عـام ١٩٧٣ ثم باحثا علميا فـى رئاسة البحوث العلمية والإفتـاء إلى عـام ٧٦ حيث عمل بعـد ذلك مدرسـا فى كليتـى أصول الدين والحديث النبوى فى الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة وفى عام ٧٩ إلى ٨٧ عمـل رئيسا لقسـم الدعوة فـى وزارة الأوقاف والشئـون الإسلاميـة فى الكويت وزار الكليات الإسلامية فى بلاد: كراتشى وبيشاور ولاهور و إسلام أباد فى باكستان وزار البحرين مرات وكذلك اليمن وقطر وسوريا .

صدر له المؤلفات الآتية فى القاهرة :

١ - فلسطين وكيف نستردها عربية مسلمة .

٢ - إنسانية العبادات الإسلامية .

٣ - ملامح من هذا الدين .

وصدر له :

«الإسلام والأسرة» و «قبس من الإسلام» و «ركائز المجتمع المسلم فى سورة الحجرات» و «مع الإمام البخارى فى كتاب العلم من صحيحه» و «الرسالة والرسول فى شعر أبى طالب» و «عنصر الهداية فى القرآن الكريم» وأعيد طبع بعضها وهذا الكتاب «الأولاد ودائع الله عندنا» وكتب أخرى أرجو أن يعين الله على صدورها ومازال يستهدى الله ويستعينه فى الدعوة إليه بلسانه وقلمه والله حسبنا ونعم الوكيل .

****

تصويب :

خطأ:	صواب:	الصفحة :
مؤلفًا	مؤلفٍ	السطر الثالث من الغلاف.
فأبناءنا	فأبناؤنا	السطر الثامن من الغلاف .
وسيبدوا	وسيبدو	السطر الثانى عشر من الغلاف .

■■■*****■■■

سوف يصدر قريبا للمؤلف بإذن الله هذه الكتب :

١ ـ التقوى والمتقون في كتاب الله .

٢ ـ في رحاب الأقصى شعر إسلامي .

٣ ـ مشاهد الوجود وشواهد التوحيد .

٤ ـ جوانب من دعوات المرسلين .

٥ ـ ما قل ودل في الدين والحياة .

٦ ـ نور من سورة الفرقان .

٧ ـ على مائدة الرسول ﷺ .

٨ ـ رجال ونساء في مجال القدوة .

■■■*****■■■